رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نصيحة إمام السنة

لإصلاح واقع الأمة

للإمام العلامة
محمد ناصر الدين الألباني

اعتنى به
إياد بن محمد علي الغكياي

دار الأرقم أحمد

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نصيحة إمام السنة

لإصلاح واقع الأمة

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى لـ :

دار الإمام أحمد
للنشر والتوزيع والصوتيات

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢١٣٠٧ / ٢٠١٠ م

الترقيم الدولي : ٠ - ٣٩ - ٥٠٠٤ - ٩٧٧ - ٩٧٨

دار الإمام أحمد

٦ شارع عزيز فانوس - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة

هاتف : ٠٠٢٠٢/٢٢٤١٤٢٤٨ تليفاكس : ٠٠٢٠٢/٢٦٣٦٥٦٣٨ جوال : ٠٠٢/٠١٠٦٠١٤٩٧٨

١١ (أ) درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

هاتف : ٠٠٢٠٢/٢٥١٠٢٣٩٧ جوال : ٠٠٢/٠١٠٥٢٦٤٠٢٠

E-Mail:Dar_Alemam_Ahmad@yahoo.Com

WWW. DarAlemamAhmad.Com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نصيحة إمام السنة

لإصلاح واقع الأمة

لمحدث العصر ومجدد القرن الإمام الربّاني

محمد ناصر الدين الألباني

المتوفى سنة (١٤٢٠هـ) - رحمه الله -

اعتنى بنشرها

إياد بن محمد علي العكيلي

غفر الله له وللمؤمنين والمؤمنات

دار الإمام أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

من درر كلام الإمام الألباني

«إن هذا الواقع الأليم ليس شرًّا مما كان عليه واقع العرب في الجاهلية، حينما بُعِثَ إليهم نبينا محمدﷺ؛ لوجود الرسالة بيننا وكمالها، ووجود الطائفة الظاهرة علىٰ الحق، والتي تهدي به، وتدعو الناس إلىٰ الإسلام الصحيح؛ عقيدة، وعبادة، وسلوكًا ومنهجًا.

ولا شك بأن واقع أولئك العرب في عصر الجاهلية مماثل لما عليه كثير من طوائف المسلمين اليوم!

بناءً علىٰ ذلك نقول: العلاج هو ذاك العلاج، والدواء هو ذاك الدواء، فبمثل ما عالج النبيﷺ تلك الجاهلية الأولىٰ، فعلىٰ الدعاة الإسلاميين اليوم جميعهم أن يعالجوا سوء الفهم لمعنىٰ: «لا إله إلا الله»، ويعالجوا واقعهم الأليم بذلك العلاج والدواء نفسه».

نقلًا عن محاضرته المفرغة في كتيب بعنوان:

«التوحيد أولًا يا دعاة الإسلام» (ص٧-٨)

«مصيبة العالم الإسلامي مصيبة أخطر -وقد يستنكر بعضكم هذا الذي أقوله!- مصيبة العالم الإسلامي اليوم أخطر من احتلال اليهود لفلسطين!

مصيبة العالم الإسلامي اليوم أنهم ضلُّوا سواء السبيل، أنهم ما عرفوا الإسلام الذي به تتحقق سعادة الدنيا والآخرة معًا.

وإذا عاش المسلمون في بعض الظروف أذلاء مضطهدين من الكفار والمشركين وقُتِّلوا وصُلِّبوا ثمَّ ماتوا فلا شكَّ أنهم ماتوا سُعَداء ولو عاشوا في الدنيا أذلاء مضطهدين.

أما من عاش عزيزًا في الدنيا وهو بعيد عن فهم الإسلام كما أراد الله ﷻ ورسوله فهو سيموت شقيًّا وإن عاش سعيدًا في الظاهر.

إذن -بارك الله فيكم-: العلاج هو: فِرُّوا إلىٰ الله!

العلاج: فروا إلىٰ الله!

فروا إلىٰ الله تعني: افهموا ما قال الله، وقال رسول الله، واعملوا بما قال الله، وما قال رسول الله».

نقلًا عن محاضرته المفرغة في كتيب بعنوان:

«واقعنا الأليم» (ص٣٤)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

«فإنه لا يخفىٰ علىٰ أحد ما أصابنا من ذُلٍّ وفتنٌ؛ فتن أعمت القلوب وحيَّرت العقول، عصفت بها ريح البدع والشبهات، والهوىٰ والشهوات، حتىٰ درست معالم القرآن والسنة في الجنان والأبدان، وكثُر المغترون وتباهىٰ الزائغون؛ فتُرك الائتلاف، وكان الاختلاف، وهُتكت الحرمات، وانتشرت الأقاييس والآراء، وعَظُمَت البليَّة، واشتدَّت الرَّزِيَّة؛ فأشاعت الفُرقةُ الوهنَ في صفوفنا، وفتحت للأعداء أبوابنا، حتىٰ أصبحت مرتعًا للذئاب المتكالبة من خارج ديارنا، وظهر المبتدعون، وتنطَّع المتنطِّعون من أبناء أمتنا»[1].

ورحِمَ اللهُ مَن قالَ:

إنــي تذكــرتُ والذكــرىٰ مــؤرقة ... مجـــدًا تلـــيدًا بأيديـــنا أضـــعناه

(١) «المرقاة في نهج السلف سبيل النجاة» للشيخ نادر التعمري -حفظه الله تعالىٰ- (ص١٣).

أنَّىٰ اتَّجهت إلىٰ الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوصًا جناحاه

«ولا يحسن بي أن أقف بكم طويلًا للبكاء علىٰ الأطلال؛ لأن ذلك لا يرممها، ولا لتَعداد مآسي المسلمين؛ لأن ذلك لا يعالجها، وإنما الذي يجب علىٰ كل مسلم أن يدركه»[١]، أنه «ومهما بلغت غربة الإسلام في زماننا، فنحن علىٰ يقين أن الله مظهرٌ دينَه، ومنجزٌ وعده الذي وعده في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة:٣٣][٢].

---

(١) «السبيل إلىٰ العز والتمكين» لفضيلة الشيخ عبد المالك الجزائري -حفظه الله تعالىٰ- (ص٦).

(٢) **قال الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ٣١) ما نصه:**

«تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه علىٰ الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده ﷺ، وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق.

كما أشار إلىٰ ذلك النبي ﷺ بقوله: «**لا يذهب الليل والنهار حتىٰ تُعبد اللات والعزىٰ**. فقالت عائشة: يا رسول الله، إن كنتُ لأظنُّ حين أنزل الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣]. أن ذلك تامًّا.

قال: **إنه سيكون من ذلك ما شاء الله...**». الحديث رواه مسلم وغيره، وقد خرجتُه في «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» (ص١٢٢)، وأخرجه الحافظ الداني في «الفتن» (ق٥٨-٥٩).

وقد وردت أحاديث أخرىٰ توضح مبلغ ظهور الإسلام ومدىٰ انتشاره، بحيث لا تدع مجالًا للشك في أن المستقبل للإسلام بإذن الله وتوفيقه».

قلت: وقد ساق الإمام خمسة أحاديث منها عقب هذا النص.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَايْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧][(١)].

واعلم أخي المسلم -فقَّهني اللهُ وإياك- أن ربنا -جل وعلا- لم يتركنا هَمَلًا، بل تفضَّل علينا بهذا القرآن المجيد، وضمن لنا حفظه من التبديل والتحريف، وقال في شأنه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

فما المخرج مما نحن فيه من فتنة وضياع وفُرقة وانحراف عن الإسلام؟!

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦][(٢)].

---

(١) وفي هذا المعنىٰ ثبت عن النبي ﷺ في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٢٠٥١) قوله: «**الكبائر: الشرك بالله، والإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله**».

وقد قال الإمام في المرجع السابق (١/ ٣٦): «هذا ومما يجب أن يُعلم بهذه المناسبة أن قوله ﷺ: «**لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتىٰ تلقوا ربكم**». رواه البخاري في «الفتن» من حديث أنس مرفوعًا.

فهذا الحديث ينبغي أن يُفهم علىٰ ضوء الأحاديث المتقدمة وغيرها مثل أحاديث المهدي، ونزول عيسىٰ عليه السلام، فإنها تدل علىٰ أن هذا الحديث ليس علىٰ عمومه، بل هو من العام المخصوص، فلا يجوز إفهام الناس أنه علىٰ عمومه، فيقعوا في اليأس الذي لا يصح أن يتصف به المؤمن: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. أسأل الله أن يجعلنا مؤمنين به حقًّا».

(٢) هذه الآية الكريمة من ضمن الآيات التي استشهد بها الإمام علىٰ عدم جواز التشبه بالكفار =

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

فإن نحن صَدَقْنا في إيماننا ورجوعنا إلىٰ الله -عز شأنه-، فلابد أيضًا أن نعرف ما يخالف دين الله تعالىٰ من سائر أحوالنا، ونجتهد في تغييره علىٰ ما يرضيه ﷻ عنا.

وهناك حقائق لابد أن نفهمها:

- أن السلوك مرآة الفهم، فكلما صَفَت هذه المرآة من الشوائب والكَدَر وتربَّت الأجيال عليها، كان العلاج أنجع والشفاء أقرب.

- أن العلم هو الفرقان الذي يميز الخبيث من الطيب، الحقَّ من الباطل، والداعيةُ الجاهلُ ضالٌّ في نفسه، مضلٌّ لغيره، ضرره أكثر من نفعه، وما يفسده أعظم مما يصلحه، فالعلم شرط في الداعية.

- أن العلم النافع هو الذي يصحح الفكر ويصقله، والفكر إذا صحَّ ظهر في السلوك القويم، والعلم والتعليم.

-سواء في عباداتهم أو أعيادهم أو أزيائهم الخاصة بهم-.

فقال في «جلباب المرأة المسلمة» (ص١٦٣): «قال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» (ص٤٣): فقوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟﴾، نهي مطلق عن مشابهتهم وهو خاص أيضًا في النهي عن مشابهتهم في قسوة قلوبهم، وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي.

وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية (٤/ ٣١٠): ولهذا نهىٰ الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية».

- أن أصحاب الدعوات الإسلامية لن يستطيعوا القيام علىٰ أقدامهم إلا إذا تسلَّحوا بالإخلاص والعلم والعمل والالتزام الفعلي بما يمليه عليهم هذا العلم من تغيير في أفراد دعواتهم ونظمها وأفكارها.

ثم الدعوة إليه في ضوء «فقه الدعوة» المستنبط من الأدلة والقواعد الشرعية، لا من مجرد التجارب الشخصية والنزعات العقلية.

- أن توحيد الفهم هو أوَّل خطوات توحيد الصف المسلم وأنفعها، ولن يُتَصَوَّرَ فكرٌ وفهمٌ أصحُّ وأقوم من فهم الصحابة رضي الله عنهم ، ومن تبعهم بإحسان من أئمة الدين الذي حمله إلينا الثقات العدول، وحُفِظَ في دواوين الإسلام حجَّةً لله علىٰ خلقه، وما زال بين أيدينا محفوظًا لننهل من معينه الصافي متىٰ شئنا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»[1].

فمن أجل هذا وذاك حرصت علىٰ أن أزفَّ هذه الرسالة المباركة -إن شاء الله- «وأضعها بين يدي قومي المسلمين وإخواني إلىٰ الله من أهل العلم وطلابه الذين لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، وجعلوا هجرتهم لله ورسوله؛ ليزدادوا ثباتًا وقوة علىٰ قوة تدفعهم؛ ليَمتَشقوا حُسَامَ العلم ويتسنَّموا غارب الحق؛ ليذبوا عن الإسلام تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[2] الذين اتخذوا

---

(١) «عودة إلىٰ السنة» لفضيلة الشيخ علي الحلبي -حفظه الله تعالىٰ- (ص١٨-٢١).

(٢) ورد نحو هذا المعنىٰ في قوله ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**».
قال الإمام في تحقيقه لهذا الحديث «مشكاة المصابيح» للإمام الخطيب التبريزي، برقم (٢٤٨): «قد روي موصولًا من طريق جماعة من الصحابة، وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي في «بغية الملتمس» (٣-٤)».

القرآن عضين، وتفرقوا شيعًا وأحزابًا فكانوا عِزين، ويمشوا بهذا النور بين عباد الله يخرجونهم من الظلمات إلىٰ النور بإذن ربهم إلىٰ صراط العزيز الحميد»[١].

وهذه الرسالة المباركة التي أقدمها للقراء اليوم هي إحدىٰ الموروثات العلمية التي خلَّفها محدِّث العصر ومجدِّد القرن الإمام الرَّبَّاني: محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالىٰ-.

وأصل هذه الرسالة محاضرةٌ ألقاها إمامنا -رحمه الله تعالىٰ- عبر الهاتف تلبية منه لدعوة موجَّهةٍ من جمعية القرآن والسنة بشمال أمريكا بإشراف تلميذه الألمعيِّ فضيلة الشيخ: علي الحلبي -حفظه المولىٰ العلي-.

وقد أبان الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في تضاعيف كلمته النهج القويم والطريق المستقيم لما يجب أن يكون عليه المسلمون اليوم ليعود إليهم عزُّهم ومجدهم كما كان عليه أسلافهم، وذلك ببيان وجوب التمسك بالمنهج السلفي وضرورة التزام سبيل المؤمنين الأوَّلين؛ مؤكِّدًا -رحمه الله تعالىٰ- ومبيِّنًا بجلاء أنهم هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيريَّة، وأنه لا سبيل لانقشاع الظلمة التي تلفُّ واقع الأمة الإسلاميَّة اليوم إلا باقتفاء أثرهم والرجوع إلىٰ ما كانوا عليه والأخذ به -بحقٍّ ويقين-.

وضمَّن ذلك فوائد عالية، وفرائد غالية؛ تأنس بها قلوب أهل السنة السَّنية، وتَفرَقُ منها نفوس أهل البدعة الردية.

---

(١) «بصائر ذوي الشرف بشرح مرويَّات منهج السلف» للشيخ سليم الهلالي -حفظه الله تعالىٰ- (ص٥-٦).

فرحم الله تعالىٰ والدنا وإمامنا الألباني رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنَّاته مع النبيين والصدِّيقين والشُّهداء والصالحين، ونفعنا بعلمه وألحقنا به علىٰ الخير.

ويتلخص عملي في هذه الرسالة المباركة بما يأتي:

١- تفريغ المادة العلمية الواقعة في شريطين متمثِّلة في المحاضرة والأجوبة عن الأسئلة التي تلت المحاضرة مع مراجعتها -مرارًا- علىٰ الأصل.

٢- صياغة بعض الألفاظ والجمل اليسيرة لوجود فرق -كما لا يخفىٰ- بين المسموع والمقروء متحرِّيًا الإبقاء علىٰ النص.

٣- أثبتُّ جملة من التعليقات الرائقة الماتعة من درر كلام الإمام -رحمه الله تعالىٰ- إتمامًا للفائدة.

٤- وضعت عناوين جانبيَّة توضِّح معالم المحاضرة وتحدِّد موضوعاتها.

٥- قدَّمت بين يدي المحاضرة مقدمة موجزة وضممت إليها نُبذة عن سيرة إمامنا -رحمه الله تعالىٰ-.

٦- عزوتُ الآيات القرآنيَّة.

٧- خرَّجت الأحاديث النبويَّة علىٰ رأس القلم، وذلك بعزوها إلىٰ تحقيقات الإمام -رحمه الله تعالىٰ- عدا ما كان في الصحيحين فعزوتها إليهما.

والله العظيم أسأل وبأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أتوسَّل أن يضع لهذه الرسالة القبول في الأرض، وأن يتقبَّلها منِّي ومن إمامنا بقبول حسن -نصرة لدينه-، ويدَّخر لي ولإمامنا ثوابها إلىٰ يوم لقائه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦].

والحمد لله رب العالمين.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وكتب

إياد العكيلي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ترجمة الإمام

-هو محمد ناصر الدين بن نوح بن آدم نجاتي، الألباني مولدًا، الدمشقي إقامة، الأردنِّي مهجرًا ووفاة.

ولد في أشقودرة -عاصمة ألبانية- سنة (١٣٣٢هـ= ١٩١٤م)، وإليها ينسب.

- محدث، فقيه، داعية إلىٰ الكتاب والسنة وعلىٰ منهج السلف الصالح، ومؤلف متقن، وعالم متفنن.

- كان والده الحاج نوح من كبار علماء الحنفية في بلده، وفي أثناء حكم العلماني الهالك أحمد زوغو لألبانية كان ثَمَّة تضييق شديد علىٰ المسلمين؛ فهاجر -بسببه- الحاج نوح -مع جميع أبنائه، ومنهم محمد ناصر الدين- فرارًا بدينه إلىٰ بلاد الشام؛ لما ورد فيها من فضائل ومناقب في السنة النبوية، وهناك استقر بهم المقام.

- ومنها -بعد نحو خمسين عامًا- هاجر الشيخ إلىٰ عمان عاصمة الأردن، وبها قضىٰ بقية حياته؛ عالمًا معلمًا، فقيهًا مربيًا.

- تلقىٰ تعليمه الأساسي في مدرسة تابعة لجمعية الإسعاف الخيري دمشق -عاصمة سورية-؛ موئل العلم لقرون كثيرة غابرة، مستفيدًا من عدد من الشيوخ

وأهل العلم؛ من أمثال والده الحاج نوح، والشيخ سعيد البرهاني، وغيرهما.

- حبب الله سبحانه إليه علم الحديث النبوي في مقتبل عمره، وبواكير شبابه، وذلك حين اطلاعه علىٰ مقالات علمية للشيخ محمد رشيد رضا في مجلة (المنار)؛ نقدًا لروايات واهية ذكرها أبو حامد الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين».

- أجازه الشيخ محمد راغب الطباخ -مؤرخ حلب ومحدثها- بمروياته المجموعة في ثبته المسمىٰ «الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية»، وذلك حين رأىٰ نبوغه وألمعيته، وأَلَقَ ذهنِهِ وفهمه، ورغبته العالية في تحصيل العلوم الإسلامية والمعارف الحديثية.

- ابتدأ التأليف والتصنيف في أوائل العِقد الثاني من عمره، فكان من أول مؤلفاته الفقهية المبنية علىٰ معرفة الدليل والفقه المقارن كتاب «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» -وهو مطبوع مرارًا-، وكان من أوائل تخاريجه الحديثية المنهجية أيضًا كتاب «الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير» -ولا يزال مخطوطًا-.

- دُعي من قِبَلِ عدد من الجامعات الإسلامية، والمراكز العلمية العالمية لتولي مناصب رفيعة فيها، فواجه معظمها بالاعتذار؛ لشواغله العلمية الكثيرة.

- تولىٰ تدريس مادة الحديث النبوي في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية- إبَّان افتتاحها، مدة ثلاث سنين، بدءًا من سنة (١٣٨١هـ)؛ مما كان له -بسببه- أعظم الأثر في إيجاد نهضة علمية حديثية واسعة علىٰ نطاق العالم كله، وعلىٰ جميع المستويات: علىٰ المستوىٰ الرسمي؛ وذلك باهتمام الجامعات عامة

بذلك، حيث قُدِّمت مئات الرسائل الجامعية المتخصصة في علم الحديث، وعلىٰ المستوىٰ الشعبي العالمي؛ حيث توجَّه عدد كبير من طلاب العلم لدراسة علم الحديث والتخصص فيه، وغير ذلك مما وُجِدَ بعده، وصار أثرًا من آثاره.

ومن أكبر دليل علىٰ ذلك: هذا الكم الكبير من الكتب الحديثية المحققة، والفهارس الحديثية المصنفة، مما لم يكن أكثره معروفًا من قبل.

وهذا الأثر -لجلالته ووضوحه- لا ينكره أحد، حتىٰ المخالفون لشيخنا، المعارضون لمنهجه.

أثنىٰ عليه كبار العلماء، وأئمة الزمان، وسألوه، وقدَّموه، واستفتوه، وراسلوه.

ولو عدُّوا -حفظ الله أحياءهم، ورحم أمواتهم-: لما أحصوا، وعلىٰ رأسهم سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز؛ فقد كان عظيم التقدير والإكبار له -رحمهما الله تعالىٰ-.

- وتلاميذ الشيخ وطلابه -سواء من تلقىٰ العلم علىٰ يديه في الجامعة، أم في حلقاته العلمية الخاصة، أم علىٰ تآليفه- كثيرون منتشرون -بحمد الله- في جميع أنحاء العالم؛ ينشرون صحيح العلم، ويدعون إلىٰ صفي المنهج بقوة وثبات.

- قضىٰ الشيخ -رحمه الله تعالىٰ- حياته كلها داعيًا إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ بصيرة؛ مؤصلًا لمنهج (التصفية والتربية)، -المبني علىٰ العلم والتزكية- معلمًا فاضلًا، ومربيًا صادقًا؛ تربينا عليه -والله- بمنهجه، ومواقفه، وآدابه، وعالي سلوكه، ورفيع أخلاقه، ورقة قلبه: الشيء الكثير، والجم الغفير.

- وللشيخ -رحمه الله تعالىٰ- صفات حميدة عديدة، من أظهرها، وأجلاها، وأبينها وأعلاها: دقته العلمية البالغة، وجِدُّه، ومثابرته، وجَلَدُه، وصلابته في الحق، ورجوعه إلىٰ الصواب، وصبره علىٰ مشاقِّ العلم والدعوة، وتحمله الأذىٰ في سبيل ذلك كله صابرًا محتسبًا.

- وقد حَظِيَ الشيخ -رحمه الله تعالىٰ- بقَبول عظيم من صالحي المسلمين في أرجاء الدنيا كلها، ونال شهرة واسعة عريضة في أقطار العالم أجمع مع أنه لم يطلبها، ولم يسعَ إليها، بل كان يهرُب منها، ويفر عنها، ويكرر -دائمًا- قوله: «حب الظهور يقصم الظهور» -رحمة الله عليه-.

ولم يكن لأحد من خلق الله عليه فضل ولا منة في أي شأن من شئون الدنيا؛ فعلمه سفيره، وصبره رائده؛ فهو عصامي صابر مصابر، ومجتهد جاد مثابر.

- ولم يزل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ- مكبًّا علىٰ العلم، دءوبًا علىٰ التصنيف -مثابرًا علىٰ التحصيل والفائدة- إلىٰ سن السادسة والثمانين من العمر؛ ما انقطع عن التأليف والكتابة إلا في الشهرين الأخيرين من عمره -عند وَهَنِ قوته- علىٰ تعلُّق قلبه بذلك؛ إلىٰ أن توفَّاه الله سبحانه قُبيل غروب شمس يوم السبت لثمانية أيام بقيت من شهر جُمادىٰ الآخرة من سنة ١٤٢٠هـ، وَفْقَ تاريخ: ٢/ ١٠/ ١٩٩٩م.

- وقد صلىٰ علىٰ الشيخ -مساء يوم موته نفسه- خلائق من الناس -في مصلىٰ- يزيد عددهم علىٰ خمسة آلاف، بالرغم من أن تجهيزه، والصلاة عليه، ودفنه: تم بأسرع وقت ممكن -تطبيقًا لوصيته التي حرص فيها علىٰ التزام السنة النبوية وتطبيقها-.

- وقد تأثَّر بفقده العلماء، والطلاب، والعامة.

وذكره وأثنىٰ عليه -عند وصول نبأ وفاته- جِلَّةُ أهل العلم؛ منهم: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ -المفتي العام للمملكة العربية السعودية- ، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العُثَيمين، وفضيلة الشيخ عبد الله بن جِبرين، وفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، وغيرهم[1].

* * *

(١) نقلًا عن مجلة (الأصالة)، عدد خاص أُصدر بمناسبة وفاة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

نص السؤال

حبَّذا لو كانت نصيحة متعلِّقة بالمؤتمر الذي اجتمعنا نحن مع الإخوة بسببه، وعنوانه:

واقع الأمة الإسلاميَّة، أسباب الوهن، وسبيل النُّهوض، وجزاكم الله خيرًا.

* * *

نص الجواب

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإيَّاكم لمعرفة الحق ولاتِّباعه وجوابًا علىٰ ما سألت أقول:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خيرَ الكلامِ كلامُ اللهِ، وخيرَ الهَدْي هَدْي مُحَمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ[1]، وبعد:

---

(١) قال الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (١/ ٤٠) ما =

.....

=

نصه: «وهذه الخطبة هي خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه أن يقولوها بين يدي كلامهم في أمور دينهم، سواء كان خطبة نكاح، أو جمعة، أو محاضرة، أو غير ذلك، ولي فيها رسالة مطبوعة».

قلتُ: يعني رسالته المسماة بـ «خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه».

ومن المفيد أن أذكر أن معنىٰ البدعة -كما قال الإمام- في «الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة» (ص٩٧): «لغة: ما عُمل علىٰ غير مثال، والمراد هنا: ما عمل من دون أن يسبق له شرعية من كتاب أو سنة».

وقال في «مناسك الحج والعمرة» (ص٤٣، ٤٤)، و«حجة النبي ﷺ» (ص١٠٣): «ثم ليعلم أن هذه البدع ليست خطورتها في نسبة واحدة، بل هي علىٰ درجات، فبعضها شرك وكفر صريح كما سترىٰ، وبعضها دون ذلك، ولكن يجب أن نعلم أن أصغر بدعة يأتي الرجل بها في الدين هي محرمة بعد تبيُّن كونها بدعة، فليس في البدع -كما يتوهم بعضهم- ما هو في رتبة المكروه فقط، كيف ورسول الله ﷺ يقول: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»؛ أي: صاحبها.

وقد حقق هذا أتم تحقيق الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه العظيم «الاعتصام»، ولذلك فأمر البدعة خطير جدًّا، لا يزال أكثر الناس في غفلة عنه، ولا يعرف ذلك إلا طائفة من أهل العلم، وحسبك دليلًا علىٰ خطورة البدعة قوله ﷺ: «**إن الله احتجز التوبة عن كل صاحب بدعة، حتىٰ يدع بدعته**». رواه الطبراني، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة»، وغيرهما بسند صحيح، وحسَّنه المنذري».

واقع الأمة الإسلامية

إنه مما لا يخفىٰ عليكم جميعًا: أن ما عليه المسلمون اليوم من واقع الأمر السيئ في هذا العصر الذي نعيشه هو بلا شك أسوأ ما أصاب المسلمين في كل عصورهم المتأخرة، مما لا يحتاج أحدٌ إلىٰ أن يوصف له لأنه يحياه ويعايشه، فكلنا يعلم انتشار أنواع الفسق والفجور في العالم الإسلامي، وقليلٌ ممن لا يزالون يعتصمون بكلمة الحق وباتباع الكتاب والسنة، أما الأكثرون فكما قال رب العالمين: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وكما قال في الآية الأخرىٰ:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

* افتراق الأمة:

فواقع الأمة اليوم مما تحدث عنه رسول الله ﷺ قبل أن نرىٰ ما رأينا، بل وقبل أن يرىٰ ما رآه أجدادنا من قَبلُ من الفرقة والتحزب والتفرق في الدين خلافًا لقول رب العالمين: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢].

وكما قال رب العالمين في الآية الأخرىٰ:

---

(١) وردت في عدة مواضع، منها: الأعراف:١٨٧، يوسف:٢١، ٤٠، ٦٨.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقد بيَّن رسول الله ﷺ هذه السُّبل في الحديث الصحيح الذي صور تفرق المسلمين وخروج الكثيرين منهم عن الخط المستقيم فيما رواه عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالىٰ عنه-.

قال: «خطَّ لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًّا علىٰ الأرض مستقيمًا ثم خط حوله خطوطًا قصيرةً، ثم تلا قوله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾. ثم قال عليه السلام، وقد مر بإصبعه الشريفة علىٰ الخط المستقيم: **هذا صراط الله.** وأشار إلىٰ الخطوط القصيرة التي علىٰ جانبي الطريق بقوله -عليه الصلاة والسلام-: **هذه طرق، وعلىٰ كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه**»[1].

فقد بيَّن النبي ﷺ في هذا الحديث أن الطريق الموصل إلىٰ الله ﷻ إنما هو طريقٌ واحدٌ وليس كما يقول أو يزعم بعض المتصوفة: «إن الطرق الموصلة إلىٰ الله ﷻ هي بعدد أنفاس الخلائق».

هذا كانوا يقولونه قديمًا، أما اليوم فقد تعددت الطرق بتعدد الجماعات والأحزاب، وكل حزبٍ بما لديهم فرحون، مع أن هؤلاء المسلمين اليوم جميعًا يعلمون قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢].

---

(١) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «ظلال الجنة في تخريج السنة» برقم (١٦و١٧).

* مفهوم الطائفة المنصورة الناجية:

ويعلمون أيضًا قول النبي ﷺ: «**تفرقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وتفرقت النصارىٰ إلىٰ ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي علىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.**

قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: **هي الجماعة**»[١]. هذه هي الرواية المشهورة والصحيحة، والرواية الأخرىٰ -وهي مفسرة للأولىٰ-: قال: «**هي التي تكون علىٰ ما أنا عليه وأصحابي**».

فقوله -عليه الصلاة والسلام- في هذه الرواية الثانية -وهي رواية حسنة كما بينت ذلك في بعض كتبي[٢]-: «**ما أنا عليه وأصحابي**». يحدد منهج الفرقة الواحدة والطائفة المنصورة الناجية، وهي: التي تأخذ بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه -رضوان الله عليهم أجمعين-.

وهنا نكتة لابد لي من ذكرها بمناسبة قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**وأصحابي**»؛ لأنه من الواضح أن النبي ﷺ لو اقتصر علىٰ قوله: «**ما أنا عليه**»؛ لكان جوابه وافيًا كافيًا، ولكنه لحكمة بالغة زاد علىٰ ذلك وعطف فقال ﷺ: «**وأصحابي**».

---

(١) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٢٠٣ و٢٠٤ و١٤٩٢).

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ٤٠٧)، (٣/ ٣٣٤)، «صحيح الترمذي» برقم (٢٦٤١)، «صحيح الجامع» برقم (٥٣٤٣)، «مشكاة المصابيح» برقم (١٦٩ - التحقيق الثاني)، «تحقيق شرح العقيدة الطحاوية» برقم (٢٦٣)، «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٣/ ١٢٦).

والحكمة هي: أن أصحاب النبي ﷺ كانوا جميعًا علىٰ هدىٰ من ربهم؛ لأنهم تلقوا الوحي النازل علىٰ قلب نبيهم ﷺ غضًّا طريًّا كما أنزله الله ﷻ قبل أن يتسلط علىٰ مفاهيمه وعلىٰ دلالاته العُجمة أو الهوىٰ -الذي ران علىٰ قلوب بعض الذين جاءوا من بعد السلف الصالح- من أصحاب الآراء والأفكار المباينة والمخالفة لما كان عليه أصحاب النبي ﷺ لأنه يعلم علم اليقين أن أصحابه سيكونون له متبعين تمام الاتباع.

* خير القرون:

وكذلك أثنىٰ رسول الله ﷺ علىٰ القرون الذين يأتون من بعد أصحابه ﷺ، ومجموع تلك القرون هي كما قال عليه السلام في الحديث الصحيح، بل الحديث المتواتر في نقدي وفي علمي وتتبعي ألا وهو قوله ﷺ: «**خير الناس قرني**».

وبعض الناس يروونه بلفظ: «**خير القرون قرني**»[1]. فأرىٰ من الواجب عليَّ أن أذكِّر -والذكرىٰ تنفع المؤمنين- أن لفظ الحديث الصحيح: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[2].

فهؤلاء القرون الثلاثة هم الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية وهم المقصودون بالآية الكريمة وهي قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

---

(١) انظر: «تحقيق التنكيل» للإمام -رحمه الله تعالىٰ- (٢/ ٢٠٨).

(٢) «البخاري» في عدة مواضع منها برقم (٢٦٥٢ و٣٦٥١)، «مسلم» في عدة مواضع منها برقم (٢٥٣٣ و٢٥٣٤).

فقوله -تبارك وتعالىٰ- في هذه الآية الكريمة: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

منه اقتبس نبينا ﷺ قوله سابقًا: «**وأصحابي**». فالنكتة في هذا الحديث كالنكتة في هذه الآية الكريمة.

* ضرورة التزام سبيل المؤمنين الأولين:

وفي ذلك دلالة واضحة علىٰ أن المسلمين جميعًا في هذه العصور المتأخرة لا يجوز لهم أن يخالفوا سبيل المؤمنين الأولين؛ لأنهم كانوا علىٰ هدًىٰ من ربهم ولذلك أيضًا خصَّ رسول الله ﷺ بالذكر أصحابه المفضلين علىٰ أصحابه الآخرين ألا وهم الخلفاء الراشدون المهديون كما جاء في حديث العرباض بن سارية -رضي الله تعالىٰ عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة، وإن ولي عليكم عبد حبشي وإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[1].

---

(١) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٢٧٣٥).

وقال عقب تخريجه لهذا الحديث: «والحديث من الأحاديث الهامة التي تحض المسلمين علىٰ التمسك بالسنة، وسنة الخلفاء الراشدين الأربعة ومن سار سيرتهم، والنهي عن كل بدعة، وأنها ضلالة، وإن رآها الناس حسنة، كما صح عن ابن عمر رضي الله عنه.

والأحاديث في النهي عن ذلك كثيرة معروفة، ومع ذلك فقد انصرف عنها جماهير المسلمين اليوم، لا فرق في ذلك بين العامة والخاصة، اللهم إلا القليل منهم، بل إن الكثيرين منهم ليعُدُّون البحث في ذلك من توافه الأمور، وأن الخوض في تمييز السنة عن البدعة، يثير الفتنة، ويفرق الكلمة، وينصحون بترك ذلك كله، وترك المناصحة في

هكذا ذكر رسول الله ﷺ مع سنته في هذا الحديث سنة الخلفاء الراشدين لتلك النكتة التي أشرنا إليها في الآية وفي حديث الفرقة الناجية.

وفي كل هذه النصوص الثلاثة منهاج يوجب علىٰ المسلمين في العصر الحاضر أن يلتزموه وألا يكونوا بعيدين عنه كما هو شأن كثير ممن يشاركنا في الدعوة إلىٰ الكتاب والسنة ولكنهم يخالفوننا في منهجنا عند رجوعنا في فهم الكتاب والسنة إلىٰ فهم هؤلاء السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

ذلك مما يجب علىٰ كل مسلم أن يتخذه منهجًا له لكيلا ينحرف عما كان عليه سبيل المؤمنين، فلا يكفي اليوم أن نقول: نحن علىٰ الكتاب والسنة، ثم نختلف في فهم الكتاب والسنة؛ فالرجوع إلىٰ السلف الصالح هو ضمان وصيانة من أن يقع المسلمون اليوم في مثل ما وقع فيه المسلمون الذين جاءوا بعد السلف فاختلفوا اختلافًا كثيرًا.

* أسباب الخلاف الحادث بعد السلف:

ذلك لأنهم لم تتوفر لديهم نصوص السنة التي تتولىٰ بيان القرآن الكريم كما قال رب العالمين: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

هذا هو السبب الأول الذي كان من أسباب الخلاف الذي وقع بين المتقدمين حتىٰ بين بعض الأئمة المجتهدين من العلماء والزهاد والصالحين، ولكن هناك

=

كل ما هو مختلف فيه، ناسين أو متناسين أن من المختلف فيه بين أهل السنة وأهل البدعة كلمة التوحيد، فهم لا يفهمون منها وجوب توحيد الله في العبادة، وأنه لا يجوز التوجه إلىٰ غيره تعالىٰ بشيء منها، كالاستغاثة والاستعانة بالموتىٰ من الأولياء والصالحين: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

أسبابًا أخرىٰ وهي تسلُّط الأهواء والآراء الخاصة ببعض الناس ولو كانوا علىٰ شيء من العلم، بل والزهد والصلاح.

ولذلك فنحن نقول: إنه لا ضمان لكيلا يقع المسلمون في مخالفة الكتاب والسنة إلا بالرجوع إلىٰ ما كان عليه سلفنا الصالح.

فأنا أعتقد أن واقع الأمة الإسلامية اليوم من اختلافهم في تفسيرهم لبعض نصوص الكتاب والسنة هو بسبب اعتمادهم علىٰ غير هذا المنهج الذي نسميه بالمنهج السلفي[1].

هذا ما ينبغي أن نعرفه في واقع الأمة الإسلامية اليوم لكي يتمكنوا من العودة إلىٰ ما كان عليه السلف الصالح، والذي اقترن بهم أن الله ﷻ أعزهم ومكن لهم في الأرض كما هو معلومٌ في التاريخ الإسلامي الأمجد.

هذا ما يحضرني الآن جوابًا عن هذه القطعة من السؤال وهو واقع الأمة الإسلامية.

---

(١) قال الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في صدد بيان أهمية التزام المنهج السلفي: «فالدعوة السلفية تتميز بهذه الدِّعامة الثالثة ألا وهي أن القرآن والسنة يجب أن يُفهما علىٰ منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم؛ أي: القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية بنصوص الأحاديث الكثيرة المعروفة، وهذا عليه الأدلة الكافية التي تجعلنا نقطع بأن كل من يريد أن يفهم الإسلام من الكتاب والسنة بدون هذه الدعامة الثالثة فسيأتي بإسلام جديد.

وأكبر دليل علىٰ ذلك الفرق الإسلامية التي تزداد في كل يوم؛ والسبب في ذلك هو عدم التزامهم هذا المنهج الذي هو كتاب الله وسنة رسوله وفهم السلف الصالح». نقلًا عن مجلة «الأصالة» العدد(٢٧)، (ص٧٤).

أسباب الوهن

أما أسباب الوهن: فهي عند العلماء كثيرة وكثيرة جدًّا، وقد يعلمون كلهم أو علىٰ الأقل بعضهم أن النبي ﷺ جمعها في جملة واحدة في الحديث الثابت الصحيح عنه ﷺ وهو قوله: «**يوشك أن تداعىٰ عليكم الأمم كما تداعىٰ الأكلة إلىٰ قصعتها**.

قالوا: أوَمن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟!

قال: **لا، بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنَّكم غثاءٌ كغثاء السيل ولينزعن الله الرهبة من صدور عدوكم وليقذفن في قلوبكم الوهن**.

قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: **حب الدنيا وكراهية الموت**»[(١)].

* **حب الدنيا رأس كل خطيئة**:

وصدق رسول الله ﷺ فليس يخفىٰ علىٰ كل مسلم عاقل أن «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[(٢)]، وأنه سبب كل معصية وبلية، كيف لا، وهو الذي يحمل الناس علىٰ الشح بالمال والنفس؟!

---

(١) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٩٥٨).

(٢) وليُعلم أن هذا اللفظ هو نصُّ حديث ضعيف ضعَّفه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «ضعيف الجامع» برقم (٢٦٨٢)، ولكن معناه صحيح بلا ريب.

ولذلك قال ﷺ: «**اتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم؛ حملهم علىٰ أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**». كما ورد في كثير من كتب السنة، ومنها: «صحيح الإمام مسلم»[١].

* **صور استحلال المحارم:**

وإن مما يجب ذكره وبيانه بهذه المناسبة أن استحلال المحارم المهلك[٢] يكون علىٰ وجهين اثنين:

الأول: ارتكاب المحارم مع العلم بحرمتها وهذا أمر مشاهد فاشٍ مع الأسف الشديد بين المسلمين اليوم بكل أشكاله وأنواعه حتىٰ الكبائر ألا وهي: الإشراك بالله ﷻ الذي يتجلىٰ واضحًا في بعض الجماعات أو الأفراد الذين ينادون غير الله ﷻ في الشدائد ويستغيثون بغير الله، وينذرون ويذبحون لغير الله فضلًا عن أنَّ أكثرهم يحلفون بغير الله.

كل هذه من أنواع الشرك الفاشية اليوم بين المسلمين وأكثرهم -لا أقول

---

(١) برقم (٢٥٧٨).

(٢) قال الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في شرحه لـ «العقيدة الطحاوية» (ص٦٠) معلقًا علىٰ قول المؤلف: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»، ما نصه: «قلت: يعني استحلالًا قلبيًّا اعتقاديًّا، وإلا فكل مذنب مستحل لذنبه عمليًّا؛ أي: مرتكب له، ولذلك: فلابد من التفريق بين المستحل اعتقادًا فهو كافر إجماعًا، وبين المستحل عملًا لا اعتقادًا فهو مذنب يستحق العذاب اللائق به إلا أن يغفر الله له، ثم ينجيه إيمانه، خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين يحكمون عليه بالخلود في النار، وإن اختلفوا في تسميته كافرًا أو منافقًا».

وأكثر عامَّتهم بل أقول: وأكثر خاصتهم- لا يدندنون حول التحذير من هذه الأنواع من الشركيات والوثنيَّات التي تعتبر أكبر الكبائر كما جاء في بعض الأحاديث الصحيحة، ومنها قتل النفس بغير حق وعقوق الوالدين وأكل الربا.

وما أدراكم ما أكل الربا؟! وقد انتشر أيضًا في هذا الزمان، بسبب قيام ما يسمونه بالبنوك، وكذلك من الكبائر: شرب الخمر، وتبرج النساء، وبناء المساجد علىٰ القبور، وغيرها كثير وكثير.

والقسم الآخر من استحلال المحارم المهلك: ارتكابها دون معرفة حكمها أو حرمتها، وذلك للجهل بها، وهذا بلا شك شرٌّ منتشر أيضًا بين كثير من المسلمين.

ويدخل ضمن القسم الأول: استحلال المحارم بطريق الاحتيال عليها علىٰ نحو احتيال اليهود علىٰ صيد السمك المذكور في القرآن كما هو معلوم مشهور، وكاحتيالهم علىٰ أكلهم الشحوم كما في قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**لعن الله اليهود حُرمت عليهم الشحوم فجملوها ثم باعوها، وأكلوا أثمانها، وإن الله إذا حرَّم أكل شيء حرم ثمنه**»[1].

هذا الحديث من الأحاديث التي قلَّما نسمعها من ألسنة الخطباء والوعاظ، وهو من الأحاديث المهمة والمهمة جدًّا التي تحذر المسلمين من الوقوع فيما وقع فيه اليهود من قبلهم، وقد حذَّرهم رسول الله ﷺ من أن يقعوا في مثل ما

---

(١) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «صحيح الجامع» برقم (٥١٠٧)، وأصله في «الصحيحين»؛ «البخاري»: في عدة مواضع منها برقم (٢٢٣٦ و٤٢٩٦)، «مسلم»: في عدة مواضع منها برقم (١٥٨١ و١٥٨٢).

وقعوا هم فيه في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه وغيره[١] من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله تعالىٰ عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.**

قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارىٰ؟ قال: **فمن؟** -أو قال: **فمن الناس؟**-».

*** التحذير من استحلال المحارم بطريق الاحتيال عليها:**

وأقول محذرًا: وهذا النوع من الارتكاب والاستحلال لما حرم الله ﷻ بأدنىٰ الحيل قد وقع أيضًا فيه كثير من المسلمين في بعض معاملاتهم وعقودهم، من أشهر ذلك نكاح التحليل الملعون فاعله في السنة الصحيحة لقوله ﷺ: «**لعن الله المُحلِّل والمُحَلَّل له**»[٢].

ومع ذلك فلا يزال في المسلمين اليوم بعض المتفقهة يُجيزون نكاح التحليل رغم لعن النبي ﷺ فاعله، وكذلك مما فشا في العصر الحاضر بيع التقسيط بزيادة في الثمن علىٰ ثمن بيع النقد[٣]، وكذلك بيع العينة المنتشر في بعض البلاد الإسلامية.

ولا يتسع المجال الآن لشرح ذلك كله، وإنما أردت أن أذكِّر الإخوان بحديث يناسب المقام ألا وهو قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم**

---

(١) البخاري برقم (٣٤٥٦ و٧٣٢٠)، مسلم برقم (٢٦٦٩).

(٢) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «إرواء الغليل» برقم (١٨٩٧).

(٣) توسَّع الإمام -رحمه الله تعالىٰ- وأفاض في بيان حرمة بيع التقسيط ببحث فريد أودعه في كتابه المستطاب «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٢٣٢٦).

أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله؛ سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه عنكم حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم»[1].

ففي هذا الحديث بيان واضح جدًّا لبعض الأدواء والأمراض الناتجة من حب الدنيا، ومن ذلك الداء الأول الذي ذكره الرسول ﷺ ألا وهو التبايع بالعينة؛ فإن هذا الداء مستشرٍ في بعض البلاد، وأكثر الناس -كما قال رب العالمين- لا يعلمون.

*** بيع العينة ومفهومها:**

إن بيع العينة هو نوع من البيوع أو المعاملات الربوية التي لا يجوز التعامل بها، ومع الأسف إن بعض الناس يتعاملون بها علىٰ أنها من المعاملات الجائزة شرعًا.

والعينة مشتقة من عين الشيء؛ أي: ذاته ونفسه، وبيع العينة معروفٌ عند العلماء، ويتمثل في أن يأتي الرجل إلىٰ تاجر يبيع سيارات مثلًا فيسومه علىٰ سيارة فيشتريها منه مثلًا بعشرين ألفًا -بسعر التقسيط وليس نقدًا-، ثم يعود هذا المشتري بائعًا فيقول للتاجر: هل تشتري مني هذه السيارة؟

فيعرف التاجر بأن الرجل يريد منه المال فيتفقان علىٰ سعر دون السعر الذي اشتراه منه، فليكن مثلًا بأقل بألفين أو ثلاثة فهذا الذي اشترىٰ ثم باع قد سُجِّلَ عليه العشرون ألفًا، وإنما أخذ أقل من ذلك بألفين أو أكثر.

هذه المعاملة هي بيع العينة التي نهىٰ عنها النبي ﷺ؛ لأن الصورة الحقيقية المرادة من هذا البيع -عند من يبتعد عن اتباع الهوىٰ أو علىٰ الأقل اتباع ما اعتاده من بيع العينة- إنما هي: أن يأخذ بأقل مما سُجِّلَ عليه، لا فرق بين هذه الصورة

---

(١) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (١١).

التي سُتر الربا فيها بالبيع وبينما لو جاء إلىٰ هذا التاجر، وقال له: «أعطني ثمانية عشر ألفًا وأعطيك عشرين ألفًا».

كل المسلمين -والحمد لله- إلىٰ اليوم يعتقدون جازمين أن هذه المعاملة الربوية لا تجوز، لماذا؟ لأنه أخذ أقل مما سُجِّلَ عليه.

ولكن ما الفرق بين هذه الصورة وبين بيع العينة؟ بيع العينة اتُّخِذ وسيلة لاستحلال الربا.

هذا هو الذي حذَّرَنا منه النبي ﷺ في بعض الأحاديث التي سبق ذكرها وهو: نهيه ﷺ عن اتباع سنن الذين من قبلنا، وذكر لنا اليهود بخاصة حينما حرم الله ﷻ عليهم الشحوم، كما قال رب العالمين في القرآن الكريم: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:١٦٠].

* **تحايل اليهود:**

فالشحوم من الطيبات المحرمة عليهم، وقد جاء في الحديث السابق: «**لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها، ثم باعوها وأكلوا أثمانها، وإن الله ﷻ إذا حرَّم أكل شيء حرم ثمنه**».

ففي هذا الحديث نجد أن اليهود تلاعبوا بالحكم الشرعي ألا وهو تحريم الشحوم، فكان اليهودي إذا ذبح الشاة أو الكبش السمين أكل اللحم الأحمر فقط ورمىٰ الشحم علىٰ الأرض ائتمارًا منه بأمر الله ﷻ، ثم لم يصبر اليهود علىٰ هذا الحكم الشرعي فاحتالوا علىٰ استحلاله فذوَّبوا هذا الشحم، ذلك معنىٰ قوله ﷺ: «**فجملوها**»؛ أي: ذوَّبوها، ألقوا الشحوم في القدور وأوقدوا النار من تحتها فأخذت الشحوم شكلًا آخر، وهو استواء الشحم علىٰ السطح كاستواء الماء.

أوهمهم الشيطان وسوَّل لهم وزيَّن لهم أن الشحم الآن خرج عن كونه شحمًا وهم يعلمون أنه لا يزال في طبيعة تركيبه وطعمه ولذته شحمًا إذ هم غيروا الشكل من أجل الأكل -كما يقال في بعض البلاد- فهم بهذا التغيير استحلوا ما حرم الله.

* الاعتبار من أحوال الهالكين:

لم يقص علينا رسول الله ﷺ قصة استحلال اليهود لهذه الشحوم بهذه الحيلة، وما قص ربنا ﷻ قصة اليهود في احتيالهم الصيد للسمك يوم السبت بحصرها في الخلجان كما هو مذكور في التفاسير من أجل التأريخ فقط، وإنما كما قال ﷻ : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[يوسف:١١١].

فالعبرة هنا في القصتين -قصة اليهود مع السمك وقصتهم مع الشحم-: ألا نقع فيما وقعوا فيه من الاحتيال علىٰ ما حرم الله.

فبيع العينة حرمها النبي ﷺ لكيلا يقع المسلمون في الاحتيال علىٰ الربا الذي صورته أن يستقرض أقل مما يسجل عليه، وبيع العينة صورته أيضًا كذلك ولكن من وراء بيع شكلي صوري كما أن اليهود غيروا الشحوم حينما أذابوها شكلًا.

وأنا حينما أقول هذا أعلم أن بيع العينة يحرمه كثير من العلماء، وكما أن بعضهم -ممن لم يبلغه هذا الحديث أو لم يصح عنده لأنه ليس من تخصصه- يقول بجواز هذا البيع تمسكًا بلفظ البيع، ولكن أهل العلم يعلمون أن مجرد ورود لفظ البيع في معاملة ما لا يجعل تلك المعاملة بيعًا إلا إذا كان الشرع لم يحرمها.

وإذا رجعنا إلىٰ هذا الحديث وجدنا أن النبي ﷺ ذكر التبايع بالعينة أول

مرض من الأمراض التي ساقها من بعده ألا وهي التكالب علىٰ الدنيا والانغماس في الأخذ بأسباب جمع المال الذي يترتب منه ما هو واقع المسلمين اليوم مما ذكره -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث عطفًا علىٰ داء التبايع بالعينة، والأخذ بأذناب البقر والرضا بالزرع فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**وتركتم الجهاد في سبيل الله** ﷻ ».

* ضرورة الجهاد:

فترك الجهاد الذي أصبح عامًّا اليوم يشمل -مع الأسف الشديد- كل الدول العربية والإسلامية رغم كونها تملك من وسائل الجهاد والقتال ما لا تملكه الشعوب المسلمة المتحمسة للدفاع عن بلادها، وعن أراضيها، بل وعن أعراضها، ولذا كان أمرًا طبيعيًّا -سُنة الله ﷻ، ولن تجد لسنة الله تبديلًا -أن يسلط الله عليهم ذلًّا لوقوعهم في مثل هذه المخالفات والاستحلال لما حرم الله ﷻ -.

هذا الذل الذي نراه قد ران علىٰ بلاد المسلمين كافة، ولو أنهم كانوا في الظاهر أحرارًا، ولكنهم مع الأسف الشديد لا يستطيعون أن يتحركوا بما يأمرهم به كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ كمثل ما جاء في الحديث الصحيح: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»[1].

نحن الآن قد ألغينا الجهاد بالنفس وركنا إلىٰ الجهاد بالأموال لوفرتها لدينا، وباللسان لسهولة ذلك علينا، أما الجهاد بالأنفس فذلك مما أصبح مع الأسف في خبر كان؛ ولذلك فالنبي ﷺ قد وصف في هذا الحديث الصحيح الداء مع الدواء

---

(١) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «صحيح أبي داود» برقم (٢٥٠٤).

حيث ذكر نماذج من الأمراض التي ستصيب المسلمين في أول هذا الحديث -حديث العينة-.

ثم بين في آخره -عليه الصلاة والسلام- الدواء، فقال: «**لا ينزعه عنكم حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم**». وهذا الدواء هو العلاج الوحيد للمسلمين إذا أرادوا أن يعود إليهم عزهم ومجدهم، وأن يمكن الله لهم في الأرض كما مكن للذين من قبلهم فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**بشِّرْ هذه الأمة بالسَّناء والرفعة والمجد والتمكين في الأرض، ومن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب**»[1].

* * *

(١) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٢٣ و١٣٣٢).

سبيل النهوض

إذن قوله ﷺ في هذا الحديث: «**حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم**». يُفسح لي المجال للدخول في الإجابة عما جاء في آخر السؤال وهو: ما هو سبيل النهوض بهذه الأمة التي أصابها من الذل والهوان ما لم يُصب الأمة من قبل هذا الزمان؟

فنقول: إن النبي ﷺ حينما وصف الدواء في هذا الحديث بالرجوع إلىٰ الدين إنما انطلق من مثل قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد:١١].

وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣].

فما هو السبب الذي من أجله غيَّر الله فينا نعمة القوَّة والعزَّة والتمكين في الأرض والتي كان عليها المسلمون من قبل؟

ذلك لأننا غيَّرنا نعمة الله ﷻ وبدَّلنا فأخذنا بأسباب الدنيا وتركنا الجهاد في سبيل الله ﷻ وكنتيجة شرعيَّة وكونيَّة أن المسلم إذا لم ينصر الله ﷻ لم ينصره الله كما هو صريح قوله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧].

* مظاهر البُعد عن الإسلام:

هنا لابد لي من وقفة؛ إذا كان الله ﷻ قد جعل علىٰ لسان نبيه ﷺ العلاج

لهذا المرض العُضال الذي أصاب المسلمين في أرضهم الإسلامية كلها مع الأسف الشديد إنما هو الرجوع إلىٰ دينهم، والدين كما تعلمون إنما هو الإسلام، وقد قال رب الأنام: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

ويعجبني بمناسبة هذه الآية ما ذكره الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العظيم الاعتصام[1] عن الإمام مالك أنه قال: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة». -وحاشاه- ثم قال: «اقرءوا قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فما لم يكن يومئذٍ دينًا لا يكون اليوم دينًا».

كنا نستدل بهذا الأثر الثابت عن الإمام مالك -إمام دار الهجرة- علىٰ أنه لا يجوز للمسلم أن يُحْدِث في الإسلام بدعة مهما كانت يسيرة سواء في الأخلاق أو العبادات فضلًا عن العقائد اعتمادًا علىٰ هذه الآية الكريمة التي بيَّن اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فيها أنه أتم النعمة علينا بإتمام ديننا ألا وهو الإسلام، فما بالنا اليوم وقد أصبحنا بعيدين عن الإسلام، ليس فقط فيما يتعلق بالسنن التي تخالفها البدع، أو في هذه

(١) انظر: «الاعتصام» تحقيق: فضيلة الشيخ مشهور آل سلمان -نفع الله به- (١/ ٦٢).

الجزئيات التي يسميها بعضهم بأنها من الأمور الثانوية[١].

بل أصبحنا بعيدين عن الإسلام الذي ارتضاه الله لنا دينًا حتىٰ في قضائنا وفي أفكارنا، بل وفي عقائدنا؟!

فإذا كنا جادِّين مخلصين وأردنا فعلًا أن نتعاطىٰ هذا العلاج الذي وصفه ربنا ﷻ علىٰ لسان نبيه ﷺ وهو أن نرجع إلىٰ الدين، فبأيِّ مفهوم نفهم هذا الدين؟

* وجوب العودة إلىٰ مذهب السلف:

هناك مفهومان معروفان لدىٰ كثير من العلماء الذين يعرفون الخلاف بين علماء السلف وعلماء الخلف وهما مذهبان: مذهب ينتمي إلىٰ السلف، ومذهب ينتمي إلىٰ الخلف، فأولئك الذين ينتمون إلىٰ مذهب الخلف يقولون عن مذهب السلف بأنه أسلم لكن مذهب الخلف أعلم وأحكم.

فيا تُرىٰ هل نعود في عقائدنا أولًا إلىٰ ما كان عليه سلفنا الصالح أم نعود إلىٰ مذهب هؤلاء الخلف الذين يصرحون بأن مذهب السلف أسلم، ولكن

---

(١) قال الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في رسالته المفرغة من محاضرة بعنوان «التصفية والتربية» (ص١٧) ما نصه: «نحن نعتقد أن كل ما جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- يجب أن نتبناه دينًا أولًا؛ مع وزنه بأدلة الشريعة؛ إن كان فرضًا ففرض؛ وإن كان سنة فسنة، أما أن نسميه أمرًا تافهًا أو قشورًا لأنه مستحب! فهذا ليس من الأدب الإسلامي في شيء إطلاقًا؛ لاسيما وأن اللب لا يمكن أن نحافظ عليه إلا بالمحافظة علىٰ القشر، أقول هذا لو أردت أن أجادلهم باللفظ».

مذهب الخلف أحكم وأعلم [1]؟

(١) **وقد نقض الإمام -رحمه الله تعالىٰ- هذه المقولة -بكلام علمي نفيس- في «مختصر العلو للعلي العظيم» للإمام الذهبي -رحمه الله تعالىٰ- (ص٣٤-٣٦) ضمن كلامٍ طويلٍ أنقل منه -لأهميته- ما نصه:**«والشاب المثقف اليوم الذي لم تتلوث ثقافته الشرعية بشيء من علم الكلام، ربما لا يصدق أن أحدًا من الخلف يقول مثل هذا القول!

وَحُقَّ له ذلك لخطورته وفظاعته، ولكنه -مع الأسف- هو الواقع المعروف لدىٰ طلبة الشريعة.

وإليك مثالًا واحدًا علىٰ ذلك مما يقرءونه علىٰ مشايخهم: قال الباجوري في حاشيته (ص٥٥) تحت قول صاحب «الجوهرة»:

وكـــلُّ نـــصٍّ أوهـــمَ التـــشبيها ... أوَّلْـــــه أو فـــــوِّضْ ورُمْ تنـــــزيها

وطريقة الخلف أعلم وأحكم؛ لما فيه من مزيد الإيضاح، والرد علىٰ الخصوم، وهي الأرجح؛ ولذلك قدمها المصنف، وطريقة السلف أسلم؛ لما فيها من السلامة من تعيين معنىٰ قد يكون غير مراد له تعالىٰ.

وكلام الكوثري المشهور بعدائه الشديد لأهل السنة والحديث في تعليقاته كلها يدور علىٰ هذا المعنىٰ من التفصيل المزعوم، وفي تعليقه علىٰ «السيف الصقيل» التصريح بذلك (ص١٣٢).

وهذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة!

قال ابن تيمية في «العقيدة الحموية»: كيف يكون هؤلاء المتأخرون -لاسيما والإشارة بالخلف إلىٰ ضرب من المتكلمين- الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف علىٰ نهاية إقدامهم بما انتهىٰ إليه من مرامهم حيث يقول:

لعمـــري قـــد طفـــت المعاهـــد كُلَّهـــا ... وســـيَّرتُ طرفـــي بـــين تلـــك المعـــالمِ

فلـــم أرَ إلا واضـــعًا كـــفَّ حائـــرٍ ... علـــىٰ ذقـــنٍ أو قارعًـــا سِـــنَّ نـــادمِ

وأقروا علىٰ أنفسهم بما قالوا متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم، مثل قول =

=

بعض رؤسائهم:

نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــالُ ... وأكثـــر ســـعي العالمـــين ضـــلالُ

وأرواحـنا فـي وحـشة مـن جـسومنا ... وحاصـــل دنـــيانا أذىً ووبـــالُ

ولـم نـستفدْ مـن بحثـنا طـول عمـرنا ... سـوىٰ أن جمعـنا فـيه قـيل وقالـوا

ويقول الآخر منهم:

أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام.

ثم إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولا وقعوا من ذلك علىٰ عين وعلىٰ أثر.

كيف يكون هؤلاء المنقوصون المحجوبون الحيارىٰ المتهوكون أعلم بالله وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ الذي بهم قام الكتاب وبه قاموا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به علىٰ سائر أتباع الأنبياء، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة.

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقصَ في العلم والحكمة -لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته- من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟

أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان أعلم بالله من ورثة الأنبياء، وأهل القرآن والإيمان؟!

وقال العلامة السفاريني في «شرح العقيدة» (١/ ٢١-مختصرة) : فمن المحال أن يكون المخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق له به ممن لا يقدر قدر السلف، ولا عرف الله تعالىٰ ولا رسوله ولا المؤمنين به حق المعرفة المأمور بها، أن طريقة السلف أسلم [وطريقة الخلف] أعلم وأحكم.

=

لا شك أنه يتبين من النصوص التي ذكرناها؛ أن واجبنا نحن في هذا الزمن، وقد أُحيط بنا من كل جانب أن نعود إلىٰ ما كان عليه سلفنا الصالح سواء فيما يتعلق بالعقائد أو فيما دون ذلك من الأحكام والأخلاق والسلوك.

فلابد في كل ذلك أن نرجع إلىٰ ما كان عليه سلفنا الصالح الذي كان لا يرضىٰ له بديلًا عن الاعتماد علىٰ الكتاب والسنة حينما يقع تنازع ما بين بعض أفراد الأمة كما قال ربنا ﷻ في القرآن الكريم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

اليوم -مع الأسف الشديد- لا نجد هذه الجماعات، وهذه الأحزاب تتفق معنا علىٰ تعاطي هذا الدواء الذي لا علاج للمسلمين في العودة إلىٰ عزهم ومجدهم الغابر إلا بالرجوع إلىٰ دينهم[1].

=

وهؤلاء إنما أُتُوا من حيث ظنوا أن طريق السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين، أو أن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، وغرائب اللغات.

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر.

وقد كذبوا وأفكوا علىٰ طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين باطلين: الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم»، ثم استشهد علىٰ ذلك بكلام للحافظ ابن رجب في كتابه «فضل علم السلف علىٰ علم الخلف» فليراجعه من شاء.

(١) قال الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في محاضرته المفرغة في كتيب بعنوان «التوحيد أولًا يا دعاة الإسلام» (ص٩، ١٠): «فإننا نعلم اليوم بأن هناك طائفة كبيرة جدًّا يعدُّون =

هذه النقطة -أن الدواء هو الرجوع إلىٰ دين الإسلام- نقطة لا خلاف فيها بين كل مسلم مهما كان اتجاهه، ومهما كان تحزُّبه وتكتُّله، ولكن الخلاف -مع الأسف الشديد- هو في فهم هذا الدين.

فهناك -كما ذكرنا- مذهبان مذهب السلف، ومذهب الخلف، فالسلف ما كانوا يختلفون في الأصول لأنهم لم يختلفوا في أن المرجع عند التنازع إنما هو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهم كانوا يتحاكمون إلىٰ هذين المصدرين ويسلمون لهما تسليمًا -كما ذكرنا ذلك في الآية السابقة-، ولكن الاختلاف قد كان بينهم للسبب الأول الذي سبقت الإشارة إليه، وهو أن بعضهم كان لا يصله الحديث عن النبي ﷺ فيجتهد فيقع في خطأ غير قاصد إليه، ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد**»[1].

=

بالملايين من المسلمين، تنصرف الأنظار إليهم حين يطلق لفظة الدعاة؛ وأعني بهم: جماعة الدعوة، أو جماعة التبليغ، ومع ذلك فأكثرهم كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧].

ومعلومٌ من طريقة دعوتهم أنهم قد أعرضوا بالكلية عن الاهتمام بالأصل الأول، أو بالأمر الأهم من الأمور التي ذكرت آنفًا، وأعني العقيدة والعبادة والسلوك، وأعرضوا عن الإصلاح الذي بدأ به الرسول ﷺ، بل بدأ به كل الأنبياء، وقد بينه الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فهم لا يعنون بهذا الأصل الأصيل، والركن الأول من أركان الإسلام، كما هو معلوم لدىٰ المسلمين جميعًا».

(١) البخاري برقم (٧٣٥٢)، مسلم برقم (١٧١٦).

=

=

ومن بديع كلام الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في التفريق بين اختلاف السلف والخلف ما ذكره في «صفة صلاة النبي ﷺ» (ص٦٠-٦٦ باختصار): «هناك فرق كبير بين الاختلافين ويظهر ذلك في شيئين:

الأول: سببه. **والآخر**: أثره.

فأمَّا اختلاف الصحابة، فإنما كان عن ضرورة واختلاف طبيعي منهم في الفهم، لا اختيارًا منهم للخلاف، يضاف إلىٰ ذلك أمور أخرىٰ كانت في زمنهم استلزمت اختلافهم ثم زالت من بعدهم، ومثل هذا الاختلاف لا يمكن الخلاص منه كليًّا، ولا يلحق أهله الذم الوارد في الآيات السابقة وما في معناها؛ لعدم تحقق شرط المؤاخذة وهو القصد أو الإصرار عليه.

وأما الاختلاف القائم بين المقلدة فلا عذر لهم فيه غالبًا، فإن بعضهم قد تتبين له الحجة من الكتاب والسنة، وأنها تؤيد المذهب الآخر الذي لا يتمذهب به عادة، فيدعها لا لشيء إلا لأنها خلاف مذهبه، فكأن المذهب عنده هو الأصل، أو هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ، والمذهب الآخر هو دين آخر منسوخ!

وآخرون منهم علىٰ النقيض من ذلك فإنهم يرون هذه المذاهب -علىٰ ما بينها من اختلاف واسع- كشرائع متعددة، كما صرح بذلك بعض متأخريهم: لا حرج علىٰ المسلم أن يأخذ من أيها ما شاء، ويدع ما شاء؛ إذ الكل شرع! وقد يحتج هؤلاء وهؤلاء علىٰ بقائهم في الاختلاف بذلك الحديث الباطل: «**اختلاف أمتي رحمة**».

[قلت: وقد بين الإمام بطلانه وذكر بعض التنبيهات المنهجية حوله في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» برقم (٥٧)]، وكثيرًا ما سمعناهم يستدلون به علىٰ ذلك!

ويعلل بعضهم هذا الحديث ويوجهونه بقولهم: إن الاختلاف إنما كان رحمة؛ لأن فيه توسعة علىٰ الأمة! ومع أن هذا التعليل مخالف لصريح الآيات المتقدمة، وفحوىٰ كلمات الأئمة السابقة فقد جاء النص عن بعضهم بردِّه.

قال ابن القاسم: «سمعت مالكًا والليث يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ:

=

=

ليس كما قال ناس: فيه توسعة، ليس كذلك، إنما هو خطأ وصواب».

وقال أشهب: «سُئل مالك عمن أخذ بحديث حدثه ثقة عن أصحاب رسول الله ﷺ أتراه من ذلك في سعة؟ فقال: لا والله حتىٰ يصيب الحق، ما الحق إلا واحد، قولان مختلفان يكونان صوابًا جميعًا؟! ما الحق والصواب إلا واحد».

وقال المزني صاحب الإمام الشافعي: «وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فخطَّأ بعضهم بعضًا، ونظر بعضهم في أقاويل بعض وتعقَّبها، ولو كان قولهم كله صوابًا عندهم لما فعلوا ذلك...».

وقال الإمام المزني أيضًا: «يُقال لمن جوز الاختلاف وزعم أن العالِمَين إذا اجتهدا في الحادثة، فقال أحدهما: حلال، والآخر: حرام، أن كل واحد منهما في اجتهاده مصيب الحق: أبأصل قلت هذا أم بقياس؟ فإن قال: بأصل قيل له: كيف يكون أصلًا والكتاب ينفي الاختلاف؟!

وإن قلتَ: بقياس، قيل: كيف تكون الأصول تنفي الخلاف، ويجوز لك أن تقيس عليها جواز الخلاف؟ هذا ما لا يجوِّزه عاقل، فضلًا عن عالم».

قال ابن عبد البر (٢/ ٨٨): «ولو كان الصواب في وجهين متدافعين، ما خطَّأ السلف بعضهم بعضًا في اجتهادهم وقضائهم وفتواهم، والنظر يأبىٰ أن يكون الشيء وضده صوابًا كله، ولقد أحسن من قال:

إثبات ضدين معًا في حال ... أقبح ما يأتي من المحال»

ذلك هو الفرق من جهة السبب.

وأما الفرق من جهة الأثر فهو أوضح، وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم مع اختلافهم المعروف في الفروع، كانوا محافظين أشد المحافظة علىٰ مظهر الوحدة، بعيدين كل البعد عما يفرق الكلمة، ويصدع الصفوف، فقد كان فيهم مثلًا من يرىٰ مشروعية الجهر بالبسملة، ومن

=

فلذلك ينبغي علىٰ هؤلاء المسلمين الرجوع إلىٰ هذه القاعدة التي لا يجوز أن يقع فيها اختلاف ألا وهي فهم الكتاب والسنة علىٰ ما كان عليه السلف

=

يرىٰ عدم مشروعيته، وكان فيهم من يرىٰ استحباب رفع اليدين، ومن لا يراه، وفيهم من يرىٰ نقض الوضوء بمسِّ المرأة، ومن لا يراه، ومع ذلك فقد كانوا يصلون جميعًا وراء إمام واحد، ولا يستنكف أحد منهم عن الصلاة وراء الإمام لخلافٍ مذهبي.

وأما المقلدون فاختلافهم علىٰ النقيض من ذلك تمامًا، فقد كان من آثاره أن تفرق المسلمون في أعظم ركن بعد الشهادتين ألا وهو الصلاة، فهم يأبون أن يصلوا جميعًا وراء إمام واحد؛ بحجة أن صلاة الإمام باطلة أو مكروهة علىٰ الأقل بالنسبة إلىٰ المخالف له في مذهبه.

وقد سمعنا ذلك ورأيناه كما رآه غيرنا، كيف لا وقد نصت كتب بعض المذاهب المشهورة اليوم علىٰ الكراهة أو البطلان؟!

وكان من نتيجة ذلك أن تجد أربعة محاريب في المسجد الجامع، يصلي فيها أئمة أربعة متعاقبين، وتجد أناسًا ينتظرون إمامهم بينما الإمام الآخر قائم يصلي!

بل لقد وصل الخلاف إلىٰ ما هو أشد من ذلك عند بعض المقلدين، مثاله: منع التزاوج بين الحنفي والشافعية، ثم صدرت فتوىٰ من بعض المشهورين عند الحنفية -وهو الملقب بـ: (مفتي الثقلين)- فأجاز تزوج الحنفي بالشافعية، وعلل ذلك بقوله: «تنزيلًا لها منزلة أهل الكتاب».

ومفهوم ذلك -ومفاهيم الكتب معتبرة عندهم- أنه لا يجوز العكس وهو تزوج الشافعي بالحنفية، كما لا يجوز تزوج الكتابي بالمسلمة!

وليت أن اختلافهم المذكور انحصر ضرره فيما بينهم ولم يتعده إلىٰ غيرهم من أمة الدعوة، إذن لهان الخطب بعض الشيء ولكنه -ويا للأسف!- تجاوزهم إلىٰ غيرهم من الكفار في كثير من البلاد والأقطار فصدوهم بسبب اختلافهم عن الدخول في دين الله أفواجًا!

الصالح، فإذا اتفقنا علىٰ هذه القاعدة وجعلناها لنا منهجًا وسبيلًا نتعاون علىٰ فهمها أولًا، وعلىٰ تطبيقها ثانيًا، فهنا يأتي الأمر الهام، والهام جدًّا وهو خلاصة الجواب عن هذا السؤال ألا وهو: سبيل النهوض.

* وجوب تطبيق الإسلام علىٰ الحكام والمحكومين:

لابد للمسلمين اليوم من أن يفهموا دينهم فهمًا صحيحًا ثم يطبقوه كلٌّ بحسبه تطبيقًا صحيحًا حكامًا ومحكومين، فالمحكوم غير الحاكم، الحاكم له سلطة عليا والمحكوم سلطته محدودة، فإذا قام كل من الحاكم والمحكوم بفهم الإسلام فهمًا صحيحًا ثم بتطبيق هذا الإسلام تطبيقًا كاملًا كلٌّ بحسب ما يستطيعه كما أشرت إليه آنفًا يومئذ -في اعتقادي- يفرح المؤمنون بنصر الله.

ولكنني أرىٰ أن كثيرًا من الدعاة الإسلاميين الذين يلهجون دائمًا وأبدًا بدعوة الحكام إلىٰ الحكم بما أنزل الله ﷻ، وهذه دعوة حق لا شك ولا ريب فيها لقول الله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وفي الآية الأخرىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

وفي الثالثة: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧][1].

---

(١) ثبت أن النبي ﷺ قد فسَّر هذه الآيات بقوله في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٢٧٠٤): «هي في الكفار كلها».

قال الإمام -رحمه الله تعالىٰ- مُعلِّقًا علىٰ هذا الحديث: «والحديث دليل صريح في أن المقصود بهذه الآيات الثلاثة الكفار من اليهود والنصارىٰ، وأمثالهم الذين ينكرون الشريعة الإسلامية وأحكامها، ويلحق بهم كل من شاركهم في ذلك، ولو كان يتظاهر بالإسلام، حتىٰ ولو أنكر حكمًا واحدًا منها.

=

فتطبيق الحكَّام الإسلام في دساتيرهم، وفي قوانينهم، وعلىٰ شعوبهم، كل هذا حق واجب، ولكن نحن نُذَكِّر أفراد الشعوب المسلمة الذين ينادون بكلمة الحق هذه -وهي الحكم بما أنزل الله- أن عليهم ألا ينسوا أنفسهم كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة:١٠٥].

فلذلك علىٰ أفراد المسلمين أن يفهموا الإسلام فهمًا صحيحًا ثم يطبقوه تطبيقًا كاملًا في حدود استطاعتهم علىٰ أنفسهم، وعلىٰ من لهم ولاية عليهم من رعاياهم كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راعٍ وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية وهي مسئولة عن رعيتها**»(١).

إنَّ هذا المعنىٰ من التربية للنفس يشير إليه بعض الدعاة الإسلاميين بالكلمة التي تُروىٰ عنه ألا وهي قوله:

=

ولكن مما ينبغي التنبه له، أنه ليس كذلك من لا يحكم بشيء منها مع عدم إنكاره ذلك، فلا يجوز الحكم علىٰ مثله بالكفر وخروجه عن الملة لأنه مؤمن، غاية ما في الأمر أن يكون كفره كفرًا عمليًّا.

وهذه نقطة هامة في هذه المسألة يغفل عنها كثير من الشباب المتحمس لتحكيم الإسلام؛ ولذلك فهم في كثير من الأحيان يقومون بالخروج علىٰ الحكام الذين لا يحكمون بالإسلام، فتقع فتن كثيرة، وسفك دماء بريئة لمجرد الحماس الذي لم تُعَدَّ له عدته.

والواجب عندي تصفية الإسلام مما ليس منه كالعقائد الباطلة، والأحكام العاطلة، والآراء الكاسدة المخالفة للسنة، وتربية الجيل علىٰ هذا الإسلام المصفىٰ، والله المستعان.

وقد مضىٰ الكلام علىٰ هذه المسألة الهامة بشيء من التفصيل المفيد -إن شاء الله تعالىٰ- تحت الحديث المتقدم (٢٥٥٢)».

(١) البخاري في عدة مواضع منها برقم (٨٩٣ و٢٤٠٩)، ومسلم برقم (١٨٢٩).

«أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم في أرضكم»، في هذه الكلمة التي تعجبنا كثيرًا ولكن لا يُعجبني الذين ينتمون إلىٰ قائلها حيث إنهم لا يعنون بها ولا يهتمون بتطبيقها؛ لأن ذلك يكلفهم أمرًا يتطلب جهدًا جهيدًا ألا وهو الرجوع إلىٰ فهم الإسلام علىٰ الوجه الصحيح الذي سبق بيانه آنفًا اعتمادًا علىٰ كتاب الله وعلىٰ حديث رسول الله ﷺ وعلىٰ ما كان عليه سلفنا الصالح.

※ **التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما**[١]:

فأقول: العودة إلىٰ هذا الدين -الذي هو الدواء لما أصاب المسلمين اليوم- يتطلب أمرين اثنين طالما أكني عنهما بالتصفية والتربية.

وأعني بالتصفية: أن يقوم علماء المسلمين الذين يتبنون هذا المنهج الصحيح من فهم الإسلام علىٰ ما كان عليه سلفنا الصالح بتصفية هذا الإسلام مما دخل فيه مما هو بريء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب -كما يُقال في بعض الأمثال-.

وأن يدعوا الناس إليه سواء ما كان متعلقًا بالعقيدة أو الأحكام -التي اختلف فيها كثيرًا-، أو الأخلاق أو السلوك فلابد من تصفية الإسلام في كل ما يتعلق بهذا الإسلام الذي أتمه الله ﷻ علينا كما سبق بيانه في الآية، وأؤكد ذلك بالحديث الصحيح وهو قوله ﷺ: «**ما تركت شيئًا يُقربكم إلىٰ الله ويبعدكم عن النار إلا وأمرتكم به، وما تركت شيئًا يُبعدكم عن الله ويُقربكم إلىٰ النار إلا ونهيتكم عنه**»[٢].

---

(١) هذا عنوان رسالة للإمام -رحمه الله تعالىٰ- فُرِّغت من محاضرة، فيُنصح بالرجوع إليها.

(٢) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (١٨٠٣).

هنا يَرِدُ بيان لابد لي منه -لمن كان يُريد أن يتمشَّىٰ مع هذا المنهج الصحيح- وهو: أن كثيرًا من العلماء قديمًا وحديثًا يعلمون فكرًا أن السنة دخل فيها ما لم يكن منها حتىٰ في القرن الأول، حيث بدأت بعض الفرق الضالة ترفع أصواتها وتدعو إلىٰ مخالفة الكتاب والسنة باتباعها لأهوائها، كما جاء عن أحد الخوارج حينما هداه الله ﷻ إلىٰ السنة فقال: «انظروا من أين تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمرًا صيَّرناه حديثًا»[١].

ولذلك جاء عن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو التابعي الجليل الذي كان يُكثر من الرواية عن حافظ الصحابة للسنة والحديث ألا وهو أبو هريرة -رضي الله تعالىٰ عنه- قال: «انظروا من أين تأخذون دينكم»[٢].

وقد رُوي هذا حديثًا مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ، ولكن لا يصح رفعه، والصحيح أنه مقطوع موقوف علىٰ ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]، ولذلك قال بعض أئمة الحديث: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء في الدين»[٤].

---

(١) انظر: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للحافظ الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالىٰ-، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، برقم (١٦١)، وكذا أوردَ -بإسناده- برَقْم (١٦٢) عن أحدِ شُيوخِ الرافضة التائبين قوله: «كُنَّا إذا اجتمعنا واستحسنَّا شيئًا جَعَلناهُ حديثًا».

(٢) مسلم في مقدمة «صحيحه» في (باب بيان أن الإسناد من الدين).

(٣) ضعَّفه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- مَرفوعًا في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» برقم (٢٤٨١).

(٤) هو من كلام الإمام الجليل عبد الله بن المبارك -رحمه الله تعالىٰ- كما في الموضع السابق من مقدمة «صحيح مسلم».

إذا كان الأمر كذلك باتفاق العلماء نظريًّا -وأعني ما أقول حينما أقول نظريًّا- ذلك لأني أريد أن أقول حقيقة مُرَّة، ألا وهي: أن هذا الإسناد لم يهتم به جماهير العلماء الاهتمام الواجب، وإنما اهتم به طائفة من علماء المسلمين، وهم أئمة الحديث: كالإمام أحمد بن حنبل، والإمام يحيىٰ بن معين، وعلي بن المديني، وتلامذتهم: كالإمام البخاري، ومسلم، وغيرهم من أئمة الحديث والنقاد الذين تكلموا في الرواة جرحًا وتعديلًا، هؤلاء هم الذين يجب الرجوع إليهم والاعتماد عليهم لإجراء التصفية في هذه السنة التي يجب الرجوع إليها بعد تصفيتها.

كتب السنة الآن متوفرة وذلك من تمام عناية الله ﷻ بهذه الأمة ووفاء منه بالحكم الذي ذكره في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

* الرجوع إلىٰ السنة كالرجوع إلىٰ القرآن[1]:

وبهذه المناسبة لابد لي من التذكير بأن هذه الآية الكريمة حينما تُذكر يتوهم بعض الناس -ممن لا علم عندهم بالسنة أو لا يقيمون وزنًا للسنة- أن الحفظ الذي ضمنه الله ﷻ في هذه الآية إنما هو خاص بالقرآن الكريم.

فأقول:

نعم ربنا ﷻ ذكر الذكر في الآية فهو قد حفظ القرآن الكريم بحروفه، ولكنه حفظ معانيه بسنة نبيِّه ﷺ، ولذلك فلا يمكن تحقيق هذه التصفية للسنة إلا من طريق علماء الحديث، وبالتالي لا يمكن فهم القرآن إلا بطريق هذه السنة المصفاة

---

(١) يُنصح بالرجوع إلىٰ رسالة الإمام -رحمه الله تعالىٰ- المفرغة من محاضرة بعنوان: «منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يُستغنىٰ عنها بالقرآن»؛ فإنها ماتعة نافعة.

وإلا وقع المسلمون فيما وقعت فيه الفرق الخارجة عن الفرقة الناجية.

وذلك لأن القرآن -كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه- حمَّالٌ ذو وجوه[1]؛ أي: يتحمل عدة معانٍ، ولذلك قال ربنا ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وأنزلنا إليك الذكر يا محمد لتبين للناس بسنتك ما نُزِّلَ إليهم من القرآن الكريم.

ففي هذه الآية ما يشير إلىٰ أن فيها ما هو مبيَّن وما هو مبيِّن، فالمبيَّن هو القرآن المنزَّل المُكنَّىٰ عنه بالذكر، والمُبَيِّن هو رسول الله ﷺ المخاطب بهذه الآية؛ ولذلك فلا سبيل إلىٰ فهم القرآن إلا بالسنة الصحيحة؛ ولذلك حذَّر النبي ﷺ من أمرين اثنين ليتحقق هذا البيان تحققًا صحيحًا:

الأمر الأول: حذر أمته ﷺ من أن يقولوا عليه ما لم يقل حتىٰ تبقىٰ السنة كما تلفَّظ بها ﷺ، أو كما فعلها أو كما أقرها، ففي الحديث المتواتر عنه: «من

---

(١) انظر: «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة» للإمام السيوطي -رحمه الله تعالىٰ-، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا (ص٧٥).

وفيه أن هذه الكلمة من قول علي لابن عباس رضي الله عنهما حينما أرسلَه لِمُناظرَةِ الخوارج، فقال: «اذهَب إليهِم فخاصِمْهُم، ولا تُحاجهم بالقُرآن، فإنَّه ذو وُجوه، ولكِن خاصِمهم بالسُّنَّةِ».

وفي رواية أخرىٰ: «ولكن القُرآن حَمَّالُ وُجوه».

والمأثور عن عمر -كما هو مأثورٌ عن عليٍّ كذلك- رضي الله عنهما: «سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله» المرجِع السابق (ص٧٤-٧٥).

كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار»[(١)].

وفي لفظ آخر: «**من قال عليَّ ما لم أَقُلْ؛ فليتبوأ مقعده من النار**»[(٢)].

والأمر الآخر: الذي نبَّه رسول الله ﷺ أمته عليه هو: وجوب الرجوع إلىٰ

---

(١) البخاري في عدة مواضع منها برقم (١١٠ و١٢٩١)، مسلم في «مقدمة صحيحه»، في باب: تغليظ الكذب علىٰ رسول الله ﷺ.

(٢) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٣١٠٠)، وانظر: (١٧٥٣)، وفي «البخاري» برقم (١٠٩)، بلفظ: «**من يقل عليَّ...**».

وقال الإمام في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (١/ ٤٩-٥٠): «ولذلك لا نكاد نسمع وعظًا لبعض المرشدين، أو محاضرة لأحد الأساتذة، أو خطبة من خطيب؛ إلا ونجد فيها شيئًا من تلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وهذا أمر خطير، يُخشىٰ عليهم جميعًا أن يدخلوا بسببه تحت وعيد قوله ﷺ: «**مَن كذب عليَّ متعمدًا فَلْيَتَبَوَّأ مقعده من النار**». [حديث صحيح متواتر].

فإنهم وإن لم يتعمدوا الكذب مباشرة، فقد ارتكبوه تبعًا؛ لنقلهم الأحاديث التي يقفون عليها جميعها، وهم يعلمون أن فيها ما هو ضعيف، وما هو مكذوب قطعًا، وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ قول النبي ﷺ: «**كَفىٰ بالمرء كَذِبًا أنْ يُحَدِّث بكل ما سمعَ**». رواه مسلم في «مقدمة صحيحه» (١/ ٨)، وغيره من حديث أبي هريرة.

ثم رُوي عن الإمام مالك أنه قال: «اعلم أنه ليس يَسْلَمُ رجلٌ حدَّث بكل ما سمعَ، ولا يكون إمامًا أبدًا وهو يحدِّث بكل ما سمع».

وقال الإمام ابن حبان في «صحيحه» (ص٢٧): «فصل: ذكر إيجاب دخول النار لمن نَسَبَ الشيء إلىٰ المصطفىٰ ﷺ وهو غير عالم بصحته». ثم ساق بسنده عن أبي هريرة مرفوعًا: «**مَن قال عليَّ ما لم أَقُلْ؛ فليتبوأ مقعده من النار**». وسنده حسن، وأصله في الصحيحين بنحوه».

السنة كما يرجعون إلىٰ القرآن، ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام-: «**لا ألفين أحدكم متكئًا علىٰ أريكته يقول: هذا كتاب الله فما وجدنا فيه حلالًا حللناه وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله**»[(١)].

---

(١) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «صحيح سنن الترمذي» برقم (٢٦٦٣ و٢٦٦٤).
وقال الإمام في «منزلة السنة في الإسلام» (ص١٢-١٣): «ومن المؤسف أنه قد وُجد في بعض المفسرين، والكتَّاب المعاصرين من ذهب إلىٰ جواز ما ذكر في المثالين الأخيرين من إباحة أكل السباع، ولبس الذهب والحرير، اعتمادًا علىٰ القرآن فقط، بل وُجد في الوقت الحاضر طائفة يتسمون بـ: (القرآنيين) يفسرون القرآن بأهوائهم وعقولهم، دون الاستعانة علىٰ ذلك بالسنة الصحيحة.
بل السنة عندهم تبع لأهوائهم، فما وافقهم منها تشبثوا به، وما لم يوافقهم منها نبذوه وراءهم ظهريًّا».
وقد ذكر الإمام شيئًا من تُرَّهات هذه الطائفة الضالة، فقال في «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» (١/ ١٠-١١): «ويُسمون في بعض البلاد (القرآنيين)، وليسوا من القرآن في شيء، ويلبسون علىٰ الجهال بقولهم: إن السنة غير محفوظة، وإن بعضها ينقض بعضًا، ويأتون علىٰ ذلك ببعض الأمثلة منها حديث: «**خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء**؛ يعني: عائشة».
ثم يعارضون به قوله ﷺ في النساء أنهن: «**ناقصات عقل ودين**»، ويقولون: انظروا كيف يصف النساء بالنقص في هذا الحديث ثم يأمر بأخذ شطر الدين من عائشة، وهي متَّهمة في النقص!!
فإذا ما علم المسلم المتبصر في دينه أن الحديث الأول موضوع مكذوب علىٰ رسول الله ﷺ، والحديث الآخر صحيح زال التعارض المزعوم أولًا؛ لأنه لا يصح في عقل عاقل -غير مجنون- معارضة الحديث الصحيح بالموضوع، وانكشف تلبيسهم وجهلهم وضلالهم.
=

بالجمع بين هذين الأمرين اللذين نبه النبي ﷺ عليهما يمكننا أن نفهم الدين الذي جعله -عليه الصلاة والسلام- دواءنا من أدوائنا التي حلت بنا وأحاطت بنا من كل جانب، هذا هو الأمر الأول.

والأمر الآخر الذي أكني عنه هو: التربية، فبعد أن يقوم العلماء بهذا الواجب من التصفية -وقد بينت ما أعني بهذه الكلمة- أقول: لابد لهم من أن يقرنوا مع هذه التصفية تربية ذويهم ورعيتهم علىٰ هذا الإسلام المصفىٰ؛ ذلك لكيلا نكون من الذين يقولون ما لا يفعلون، وقد قال ربنا ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣].

ولذلك جاء الوعيد الشديد في حق من لا يعمل بعلمه كما قلنا في الحديث السابق الذي قال فيه عليه السلام: «**بشر هذه الأمة بالرفعة والسناء والمجد والتمكين في الأرض**».

ثم قال -عليه الصلاة والسلام-: «**فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب**»[1].

=

ثم إذا رجع إلىٰ الحديث الآخر الصحيح ثانيًا وأخذه بتمامه من مصدره الموثوق به، يتبين له أن النقص المذكور ليس علىٰ إطلاقه كما يتعمد الدجالون أن يوهموا الناس وإسقاطًا منهم للسنة من قلوبهم زعموا.

وإنما هو أن المرأة لا تصلي ولا تصوم وهي حائض، وأن شهادتها علىٰ النصف من شهادة الرجل، كما جاء تفسيره في الحديث نفسه في «صحيح البخاري»، وغيره.

وهذا هو الشأن علىٰ الغالب بين الأحاديث الضعيفة والصحيحة».

(١) سبق تخريجه.

=

فهذا الحديث يوجب علينا أننا إذا عملنا بديننا المصفىٰ أن يكون عملنا خالصًا لوجه الله -تبارك وتعالىٰ-، كما قال ربنا ﷻ : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥][1].

=

وقد اعتنىٰ إمامنا بتحقيق كتاب مفيد في هذا المعنىٰ بعنوان: «اقتضاء العلم العمل» للإمام الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالىٰ-.

(١) وهاهنا كلام نفيس من درر إمامنا -رحمه الله تعالىٰ- يجدر بنا أن نثبته بتمامه، ودونك نصه من رسالته القيمة المفرغة من محاضرة بعنوان: «سؤال وجواب حول فقه الواقع» (ص٤٠-٤٢): «مفتاح عودة مجد الإسلام: تطبيق العلم النافع، والقيام بالعمل الصالح، وهو أمر جليل لا يمكن للمسلمين أن يصلوا إليه إلا بإعمال منهج التصفية والتربية، وهما واجبان مهمان عظيمان: وأردت بالأول منهما أمورًا:

الأول: تصفية العقيدة الإسلامية مما هو غريب عنها، كالشرك، وجحد الصفات الإلهية، وتأويلها، ورد الأحاديث الصحيحة لتعلقها بالعقيدة ونحوها.

الثاني: تصفية الفقه الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة، وتحرير العقول من آصار التقليد، وظلمات التعصب.

الثالث: تصفية كتب التفسير، والفقه، والرقائق، وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والإسرائيليات والمنكرات.

وأما الواجب الآخر: فأريد به تربية الجيل الناشئ علىٰ هذا الإسلام المصفىٰ من كل ما ذكرنا؛ تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره، دون أي تأثر بالتربية الغربية الكافرة.

ومما لا ريب فيه؛ أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهودًا جبارة متعاونة مخلصة بين المسلمين كافة جماعات وأفرادًا؛ من الذين يهمهم حقًّا إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، كلٌّ في مجاله واختصاصه».

هذا ما أردت أن أقوله بمناسبة هذه الأسئلة الطيبة التي وردت من هذه الجمعية المباركة -إن شاء الله- جمعية القرآن والسنة.

نسأل الله ﷻ أن يلهمنا وإياكم فهم الإسلام فهمًا صحيحًا علىٰ ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، وعلىٰ منهج السلف الصالح، وأن يوفقنا حكامًا ومحكومين للعمل بهذا الإسلام المصفىٰ.

أسأل الله بأنه الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد[1]، أن يتقبل دعاءنا هذا، وأن ينصرنا علىٰ أعدائنا إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

(١) وقد وَرَدَ في «صحيح سنن ابن ماجه» للإمام -رحمه الله تعالىٰ- برقم (٣١٢٥): «أن النبيَّ ﷺ سَمِعَ رجُلًا يَقولُ: اللهم إني أسألك بأنك أنت اللهُ الأحدُ الصمدُ الذي لم يلد ولم يولدْ ولم يكن له كُفوًا أحد، فقال رسول الله ﷺ: **لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سُئل به أعطىٰ، وإذا دُعي به أجاب**».

الأسئلة والأجوبة

* السؤال الأول:

يقول الأخ السائل: يحدثنا المطلعون على أحوال المسلمين في البوسنة والهرسك، والقريبون من القوات الإسلامية: أن جهادًا قائمٌ هناك يتميز بالراية الإسلامية المرفوعة، وبنوع قوة يرهبون بها الكفرة الذين يقاتلونهم؛ فإن صح هذا فما هو رأيكم فيما يُحاول فيه كثير من الشباب المسلم عربًا وعجمًا للذهاب هناك لمقاتلة أعداء الله ﷻ نصرة لإخوانهم في الدين؟

أجاب الإمام -رحمه الله تعالى-: نحن نقول كما كنا نقول دائمًا وأبدًا: إن الجهاد اليوم فرض عين لكثرة البلاد الإسلامية المهاجَمَة من الكفَّار من مختلفي الأديان والمشارب، ولكنني أقول آسفًا جدًّا -فليرضَ من يرضى ولا يرضَ من لا يرضى، فما يهمنا إلا رضاء الله تبارك وتعالى-: إن جهاد المسلمين الكفار لابد لهم فيه من أن يتخذوا الأسباب التي تؤهلهم للانتصار على عدوهم.

وأول تلك الأسباب: أن يؤمنوا بالله ورسوله كما أراد الله ورسوله، وهذا الإيمان اليوم غير متوفر في طائفة متجمعة على هذا المنهج الذي شرحناه آنفًا، وأعتقد أن الذين يذهبون إنما هم أفراد متفرقون من مختلف البلاد لا تجمعهم عقيدة إسلامية صحيحة، وإنما هم مختلفون أشد الاختلاف، وقد رأينا ذلك مع

الأسف الشديد في الجهاد الأفغاني الذي كنا نأمل ونرجو من الله ﷻ أن نكون الآن قد اقتطفنا ثمار ذلك الجهاد؛ لأن الجماعة -أعني بهم: المسلمين الأفغان- كانوا قد أعلنوها جهادًا في سبيل الإسلام.

أما اليوم فليس هناك في البوسنة والهرسك إعلان من البوسنويين والهرسكيين -إذا صحَّ التعبير- للجهاد في سبيل الله مع هذا الفارق الكبير بين القتال الذي يقع الآن بين الكفار من الصرب ومن يعينهم وبين المسلمين في البوسنة ومن يعينهم من مختلف المسلمين الذين أشرت إليهم آنفًا.

أقول: مع هذا البون الشاسع بين الجهاد الأفغاني والقتال البوسنوي لِمَ لمْ نقتطف الثمرة بعد اثنتي عشرة سنة من الجهاد الأفغاني؟

لأنهم ما اتخذوا العدة التي نحن ندندن حولها الآن؛ وسأبين ذلك بشيء من البيان: فكلنا يعلم أيضًا -آسفين- أنه كان هناك سبعة أحزاب وصدق فيهم قول الله ﷻ: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[المؤمنون:٥٣].

وكانت هناك جماعة واحدة هي التي أعلنت أنها علىٰ منهج السلف الصالح -علىٰ القرآن والسنة-، ومع ذلك فقد وقع ما وقع بمقاتلة بعض الأحزاب لهذه الجماعة القائمة علىٰ الكتاب والسنة، وكل هذه الأحزاب يعلمون قول رب العالمين: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ﴾[الأنفال:٤٦].

لقد فشل الجيل الأول الأطهر الأنور وهم صحابة رسول الله ﷺ في غزوة حنين لأنهم فقط أصيبوا بالعجب المهلك مع أنهم كانوا كاملين في كل النواحي

الأخرىٰ، فما انتصروا لولا أن الله ﷻ نصرهم في نهاية الأمر علىٰ الكافرين، فكيف ينتصر المسلمون اليوم علىٰ أعدائهم الكفار الصرب ومعهم دول أوربا كلها، وإن كانوا ظاهرًا يدندنون حول الانتصار لهؤلاء المغزوين في دارهم؟

فأنا أقول: إن الجهاد لابد له من استعداد، وهذا صريح القرآن الكريم: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠].

فلهؤلاء الشباب المتحمس -ووجب له هذا التحمس- أقول: هل أعدوا العدة التي أشار الله ﷻ إليها في هذه الآية: ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾؟

لا شك أن الله ﷻ إنما أطلق القوة وخص بالذكر رباط الخيل؛ لأن رباط الخيل كان من أهم أسباب القتال التي تساعد المجاهدين علىٰ الانتصار علىٰ أعدائهم، ولكنه قبل أن يذكر رباط الخيل أطلق القوة فقال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠].

فما هي القوة التي أعدها هؤلاء الشباب؟ ظني أنهم سيقولون إنهم ليس عندهم طائرات ولا دبابات، وليس عندهم قتال منظم علىٰ الطريقة العسكرية الحديثة المعهودة الآن من حيث أسلوب القتال وأسلوب الهجوم، وأسلوب الدفاع، وأسلوب الفرار -حينما يجوز الفرار-، وهكذا.

ثم إنني ألفت النظر إلىٰ أن هؤلاء الأفراد من كل الشعوب المسلمة يريدون أن يقاتلوا بهذه الوسائل من الأسلحة العادية، فما بال الدول الإسلامية تتفرج علىٰ هؤلاء المسلمين المغزوين في عقر دارهم؟!

وعلىٰ هؤلاء المسلمين الذين يناصرونهم بمثل هذه الأسلحة العادية التي لا تساوي شيئًا بالنسبة لأسلحة الكافر المهاجر ألا وهم الصرب؟

هلا جهزوا جيوشهم؟ هلا أرسلوا دباباتهم؟ هلا أرسلوا طائراتهم؟ لنستطيع أن نقول إنهم قد أعدوا عدتهم في حدود استطاعتهم فلعل الله ﷻ ينصرهم.

نحن ننصح شبابنا المسلم المتحمس -وبخاصة بعد أن رأىٰ أن جهاد أولئك المتحمسين في أفغانستان ذهب أدراج الرياح مع أن الجهاد كان هناك أولًا: باسم الإسلام، وثانيًا: كان يتلقىٰ الإمدادات التي لا يمكن أن يتلقاها هؤلاء الشباب- مبينين لهذا الشباب نكتة في الآية السابقة جاءت المناسبة للتحدث عنها.

ربنا ﷻ حينما خاطب المؤمنين الأولين بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ [الأنفال:٦٠]. كانوا مهيئين لتقبُّل تنفيذ هذا الأمر ومستعدين للقيام به؛ أي: أنهم كانوا قد قاموا بواجب الإعداد المعنوي لذلك وُجهت هذه الآية إليهم: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾، فأنا أستنبط من هذه الآية شيئًا لا يتعرض لذكره المفسرون عادة مع أنه أمر واضح، ويجب بيانه بمثل هذه المناسبة.

حينما خاطب الله ﷻ أصحاب النبي ﷺ بقول: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾. كانوا أهلًا لمثل هذا الخطاب؛ أي: كانوا مؤمنين بالله ورسوله حق الإيمان علىٰ النحو الذي ندندن نحن حوله اليوم -ندندن حول الإسلام المصفىٰ- ولا نستطيعه إلا بجهد جهيد وجهود جبارة من علماء المسلمين، كما سبقت الإشارة إلىٰ ذلك آنفًا.

أما الصحابة -فكما قلت في مطلع كلمتي السابقة- فقد تلقوا الإسلام من رسول الله ﷺ غضًّا طريًّا فهم كانوا ليسوا بحاجة مثلما نحن بحاجة اليوم أن نشغل كثيرًا من وقتنا بفهم شريعة ربنا ﷻ فهمًا مصفًّىٰ؛ لأنهم تلقوا الإسلام

مصفًّىٰ مباشرة من رسول الله ﷺ، ثم طبَّقوه أيضًا في نفوسهم، فصاروا مهيئين لتقبُّل ذلك الأمر الإلهي: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾؛ أي: يا معشر أصحاب الرسول عليهم السلام.

حينما أقول هذا لا أريد أن أشكِّكَ الناس في عقيدتهم، وفي عملهم الصالح، ولكني في الوقت نفسه لا أريد أن أكون كالنعامة التي يُضرب بها المثل في الحماقة حينما ترىٰ الصياد قد توجَّه إليها، تُدخل رأسها في الرمل فلا ترىٰ الصياد.

فلحماقتها تظن أن الصياد سوف لا يراها ولا يصطادها، كما أني لا أريد أيضًا أن أكون غافلًا عن وصف المرض الذي يجب للمسلمين أن يعالجوه.

فأنا أقول: يا معشر الشباب، هل أنتم تلقيتم الإسلام غضًّا طريًّا كما تلقاه أصحاب النبي ﷺ ؟

ومن أبرز الأمور التي تؤكد لنا أنكم أنتم كذلك أو لا: هل اجتمعتم علىٰ كلمة سواء؟ هل توحدتم في عقيدتكم وفي أخلاقكم، وفي إخلاصكم بعضكم لبعض كل فرد يصدق فيه كما قال -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح: «**لا يؤمن أحدُكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1] ؟

---

(١) البخاري برقم (١٣)، مسلم برقم (٤٥).

وصححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- بزيادة: «**من الخير**». في آخره في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٧٣).

وقال في بيان أهميتها: «واعلم أن هذه الزيادة «**من الخير**»، زيادة هامة تحدد المعنىٰ المراد من الحديث بدقة؛ إذ إن كلمة «**الخير**» كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية وتخرج المنهيات؛ لأن اسم الخير لا يتناولها كما هو واضح، فمن

أنا أقول آسفًا: لا نكاد نجد جماعة من عشرة أشخاص يصدق فيهم مثل هذا الإيمان الذي ذكره الرسول -عليه الصلاة والسلام- فكيف المئات؟! بل كيف بالألوف المؤلفة المتفرقة الذين لم يجتمعوا في مكان واحد ليكونوا طائفة واحدة عقيدة وسلوكًا؟! ومن ذلك السلوك أن تأتمروا بهذا الأمر الإلهي ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] إلىٰ آخر الآية.

هذا الذي أدندن حوله وأنا لا أريد أن تذهبوا طُعمًا للنِّيران فأنتم بين كفار يحاربون الإسلام في كل أرض الإسلام، ولابد أنكم سمعتم ما حل بإخواننا في الصومال وفي إرتيريا، وفي الفلبين، وفي... وفي... إلىٰ آخره؛ وأخيرًا في الجزائر، وربما في السودان أيضًا.

فمم هذا يا إخواننا المسلمين المتحمسين حماسًا عاطفيًّا غير مقرونٍ بالتدبير والعقل السليم؟

أمامكم هؤلاء الكفار الذين يمكرون بكم وخلفكم دول إسلامية لا تساعدكم ولذلك أنا أقول ختامًا لكلمتي هذه معكم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥].

=

كمال خلق المسلم أن يحب لأخيه المسلم من الخير مثلما يحب لنفسه، وكذلك أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر.

وهذا وإن لم يذكره في الحديث، فهو من مضمونه؛ لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاءً، كما قال الكرماني، ونقله الحافظ في «فتح الباري» (١/ ٥٤) وأقره، وقد عزا هذه الزيادة بعض المخرِّجين للشيخين، وذلك من جهلهم بهذا العلم».

هذا ختام جوابي لهذا السؤال، وأرجو أن أكون قد وفِّقت[١].

---

(١) ومن بديع كلام الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في بيان الأسباب التي تؤهل المسلمين للانتصار علىٰ عدوِّهم ما سطَّره في كتابه العُجاب «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧/ ١٢٤١-١٢٤٣).

حيث قال عقِبَ تخريجه لحديث: «بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة في العُسر واليسر، والمنشَطِ والمكره، وعلىٰ أثَرَةٍ علينا، وعلىٰ ألا نُنَازعَ الأمرَ أهله؛ [إلا أن تَروا كُفرًا بواحًا، عندكم من الله فيه برهان]، وعلىٰ أن نقول بالحقِّ أينما كنا، لا نخاف في الله لَوْمَةَ لائِم»:

«ثم إن في الحديث فوائد ومسائل فقهية كثيرة، تكلم عليها العلماء في شروحهم، وبخاصة منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري».

والذي يهمني منها هنا: أن فيه ردًّا صريحًا علىٰ الخوارج الذين خرجوا علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؛ فإنهم يعلمون من دون أي شك أو ريب أنه لم يروا منه (كفرًا بواحًا)، ومع ذلك استحلوا قتاله وسفك دمه هو ومن معه من الصحابة والتابعين، فاضطر لقتالهم واستئصال شأفتهم، فلم يَنْجُ منهم إلا القليل، ثم غدروا به كما هو معروف في التاريخ.

والمقصود أنهم سنوا في الإسلام سنة سيئة، وجعلوا الخروج علىٰ حكام المسلمين دينًا علىٰ مر الزمان والأيام رغم تحذير النبي منهم في أحاديث كثيرة، منها قوله : «**الخوارج كلاب أهل النار**». وهو مخرَّج في «المشكاة» (٣٥٥٤)، و«الروض النضير» (٩٠٦ و٩٠٨).

ورغم أنهم لم يروا كفرًا بَواحًا منهم، وإنما ما دون ذلك من ظلم وفجور وفسق.

واليوم -والتاريخ يعيد نفسه كما يقولون-؛ فقد نبتت نابتة من الشباب المسلم لم يتفقهوا في الدين إلا قليلًا، ورأوا أن الحاكم لا يحكمون بما أنزل الله إلا قليلًا، فرأوا الخروج

=

عليهم دون أن يستشيروا أهل العلم والفقه والحكمة منهم، بل ركبوا رءوسهم، وأثاروا فتنًا عمياء، وسفكوا الدماء، في مصر، وسوريا، والجزائر، وقبل ذلك فتنة الحرم المكي، فخالفوا بذلك هذا الحديث الصحيح الذي جرىٰ عليه عمل المسلمين سلفًا وخلفًا إلا الخوارج.

ولمَّا كان يغلب علىٰ الظنِّ أنَّ في أولئك الشباب من هو مخلص يبتغي وجه الله، ولكنه شُبِّه له الأمر أو غُرِّر به؛ فأنا أريد أن أوجه لهم نصيحة وتذكرة، يتعرَّفون بها خطأهم، ولعلهم يهتدون:

فأقول: من المعلوم أن ما أُمر به المسلم من الأحكام مَنُوطٌ بالاستطاعة؛ حتىٰ ما كان من أركان الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]. وهذا من الوضوح بمكان فلا يحتاج إلىٰ تفصيل.

والذي يحتاج إلىٰ التفصيل؛ إنما هو التذكير بحقيقتين اثنتين:

الأولىٰ: أن قتال أعداء الله -من أي نوع كان- يتطلب تربية النفس علىٰ الخضوع لأحكام الله، واتباعها كما قال ﷺ: «**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله**». «الصحيحة» (٥٤٩).

والأخرىٰ: أن ذلك يتطلب الإعداد المادي والسلاح الحربي؛ الذي ينكأ أعداء الله؛ فإن الله أمر به أمير المؤمنين فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠].

والإخلال بذلك مع الاستطاعة؛ إنما هو من صفات المنافقين، ولذلك قال فيهم رب العالمين: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة:٤٦].

وأنا أعتقد جازمًا أن هذا الإعداد المادي لا يستطيع اليوم القيام به جماعة من المؤمنين دون علم من حكامهم -كما هو معلوم-، وعليه؛ فقتال أعداء الله من جماعة ما سابق لأوانه؛ كما كان الأمر في العهد المكي، ولذلك لم يؤمروا به إلا في العهد المدني؛ وهذا هو مقتضىٰ النص الرباني: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

=

وعليه؛ فإني أنصح الشباب المتحمس للجهاد، والمخلص حقًّا لرب العباد: أن يلتفتوا لإصلاح الداخل، وتأجيل الاهتمام بالخارج الذي لا حيلة فيه، وهذا يتطلب عملًا دءوبًا وزمنًا طويلًا؛ لتحقيق ما أسمِّيه بـ: (التصفية والتربية)؛ فإن القيام بهذا لا ينهض به إلا جماعة من العلماء الأصفياء، والمربين الأتقياء، فما أقلهم في هذا الزمان، وبخاصة في الجماعات التي تخرج علىٰ الحكام!

وقد ينكر بعضهم ضرورة هذه التصفية، كما هو واقع بعض الأحزاب الإسلامية، وقد يزعم بعضهم أنه قد انتهىٰ دورها، فانحرفوا إلىٰ العمل السياسي أو الجهاد، وأعرضوا عن الاهتمام بالتصفية والتربية، وكلهم واهمون في ذلك.

فكم من مخالفات شرعية تقع منهم جميعًا بسبب الإخلال بواجب التصفية، وركونهم إلىٰ التقليد والتلفيق، الذي به يستحلون كثيرًا مما حرم الله! وهذا هو المثال: الخروج علىٰ الحكام؛ ولو لم يصدر منهم الكفر البواح.

وختامًا أقول: نحن لا ننكر أن يكون هناك بعض الحكام يجب الخروج عليهم؛ كذاك الذي كان أنكر شرعية صيام رمضان، والأضاحي في عيد الأضحىٰ، وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة، فهؤلاء يجب قتالهم بنص الحديث، ولكن بشرط الاستطاعة كما تقدم.

لكنَّ مجاهدة اليهود المحتلين للأرض المقدسة، والسَّافكين لدماء المسلمين أوجب من قتال مثل ذاك الحاكم من وجوه كثيرة، لا مجال الآن لبيانها، من أهمها أن جند ذاك الحاكم من إخواننا المسلمين، وقد يكون جمهورهم -أو علىٰ الأقل الكثير منهم- عنه غير راضين.

فلماذا لا يجاهد هؤلاء الشباب المتحمس اليهود، بلد مجاهدتهم لبعض حكام المسلمين؟!

أظن أَنْ سيكون جوابهم عدم الاستطاعة بالمعنىٰ المشروح سابقًا، والجواب هو جوابنا، والواقع يؤكد ذلك؛ بدليل أن خروجهم -مع تعذُّر إمكانه- لم يثمر شيئًا سوىٰ سفك الدماء سُدًى! والمثال -مع الأسف الشديد- لا يزال ماثلًا في الجزائر، فهل من مدَّكر؟!».

* السؤال الثاني:

يقول السائل: ما حكم مشاركة بعض المسلمين الأمريكان في التَّصويت لانتخاب رئيس أمريكا مستندين في ذلك إلىٰ قاعدة: (أخف الضررين) متوهِّمين أن واحدًا من هؤلاء المرشحين سيكون أخف وطأة وأقل بأسًا علىٰ الإسلام والمسلمين؟

أجاب الإمام -رحمه الله تعالىٰ-:

الكفر ملَّة واحدة، وربنا ﷻ يذكِّر هؤلاء المسلمين الذين يظنون أنهم يطبقون قاعدة (أخف الضررين) بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

وأنا إن أعجب فأعجب كل العجب من هؤلاء الشباب الذين يركنون إلىٰ مثل هذا الوهم كما جاء في سؤالك -بارك الله فيك-، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود:١١٣].

نار الدنيا قبل نار الآخرة، لذلك نحن نقول: لا تجوز المشاركة في مثل هذه الانتخابات؛ لأن هذه المشاركة تعني موالاةً عمليةً للكفار، وذلك محرم بنص القرآن؛ حيث قال رب الأنام: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١][1].

---

(١) وقد بيَّن الإمام -رحمه الله تعالىٰ- ضابط موالاة الكفار المخرجة من الملة ضمن فتاويه المسموعة الموسومة بـ: «سلسلة الهدىٰ والنور» برقم (٧٥١) حيث سئل: «ما هو الفرق بين التولي والولاية؟ وهل يُحكم فيهما جميعًا علىٰ المعين بالكفر؟

فأجاب: «لا، لا يحكم بالكفر؛ لأن الكفر -كما نذكر دائمًا وأبدًا- ينقسم إلىٰ: كفر عملي، وكفر اعتقادي.

فمن تولىٰ الكفار عملًا فهو فاجر، أما من تولاهم عقيدة فهو كافر».

* السؤال الثالث:

يسأل أخر آخر فيقول: ما رأيكم أيضًا في بعض المسلمين الأمريكان -عربًا أو عجمًا- الذين يحاولون تكوين حزب إسلامي للمشاركة في البرلمان الأمريكي، ويقول هؤلاء: إن هذا الصنيع حق من حقوقنا الدستورية في القانون الأمريكي، وعلينا ألا نفرط فيه؟

أجاب الإمام -رحمه الله تعالىٰ-:

أظن أن الجواب السابق -بارك الله فيك- يصلح جوابًا لهذا السؤال اللاحق، ولا يجوز التحزب من هؤلاء؛ لأن هذا التحزب سيجعل المسلمين هناك فرقتين: فرقة متحزبة لهذه الانتخابات، وفرقة أخرىٰ معاكسة لها، وقد تقوم أحزاب أخرىٰ ونحن نشكو الأحزاب الإسلامية في البلاد الإسلامية.

فماذا نقول عن التحزب في بلاد الكفر؟!

نحن ننصح هؤلاء الذين ابتُلُوا بالاستيطان في بلاد الكفر كما كنا ننصح أفرادًا منهم حينما يتصلون بنا يسألوننا عن بعض الأحكام التي تعترضهم في حياتهم هناك ننصحهم دائمًا وأبدًا: ألا يستقروا في بلاد الكفر، وأن يفروا إلىٰ الله ﷻ بأن يعودوا أدراجهم إلىٰ بلاد الإسلام؛ لأن الإسلام ينهىٰ المسلم أن يهاجر من بلاد المسلمين إلىٰ بلاد الكفار والمشركين، وهناك أحاديث كثيرة وكثيرة جدًّا منها قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**من جامع المشرك فهو مثله**»[1].

من جامع؛ أي: من خالط المشرك فهو مثله، ومِن ذلك قوله ﷺ: «**المسلم**

---

(١) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٢٣٣٠).

والمشرك لا تتراءىٰ نارهما»[١] .

وكذلك قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين ظهراني المشركين**»[٢] .

لذلك نجد بعض المتدينين من هؤلاء المسافرين أو المستوطنين في بلاد الكفر حينما نلتقي بهم هناك في زيارة عابرة -كما أنت الآن واقعك هناك-، نجد منهم تأثرًا بالأجواء والبيئات التي يعيشونها وهي بيئة كفر وفسق وفجور وضلال، يتأثرون من حيث لا يشعرون أو يشعرون ثم إذا ما هم شعروا حاولوا تبرير ما هم فيه، وقعوا بشتىٰ المبررات أو المسوِّغات التي تلتقي مع هوىٰ النفس.

ومع الجهل بالإسلام كما سمعت آنفًا من تسويغ الانتخابات لمن هو أقل شرًّا زعموا من باب تطبيع قاعدة: (الأخذ بأخف الضررين)، هذه القاعدة إنما تطبق فيما يغلب علىٰ الظن أن الأخذ بأخف الضررين يطيح بالشر الأكبر، أما راح (جورج) وجاء (أنطونيوس)، فمن أين نحن نحكم أن (أنطونيوس) خير من (جورج) أو من (بوش) أو ما شابه ذلك؟!

إن يظنون إلا ظنًّا وما هم بمستيقنين، والله المستعان .

صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «إرواء الغليل» برقم (١٢٠٧).

انظر: المصدر السابق، وهما في سياق واحد بلفظ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا تراءىٰ نارهما**».

وانظر للفائدة: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٦٣٦، ٢٨٥٧، ٣١٩٠).

وسئل الإمام -رحمه الله تعالىٰ- عن حكم الانتخابات بدعوىٰ أنها الوسيلة الوحيدة لتبليغ كلمة الحق للحاكم، فأجاب ضمن فتاويه المسموعةِ «سلسلة الهدىٰ والنور» برقم (٣٨١) -بتصرف-:

=

=

« أولًا: لا نُسلِّمُ بقولهم بأنه لا سبيل إلىٰ تبليغ كلمة الحق إلىٰ الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله إلا بأن يكون الرجل نائبًا في البرلمان، وبخاصة إذا أُلحِقَ بذلك أن تكون المرأة أيضًا نائبة في البرلمان؛ فإنه من الممكن أن يتكلم الإنسان بكلمة الحق بطريق الجرائد والمجلات والرسائل و...و... إلىٰ آخره.

وبخاصة أن الملك يتستَّر بمن دونه من الوزراء ثم هؤلاء يتستَّرون بالنُّوَّابِ، ونحن نعرف في هذه الحياة البرلمانية التي نعيشها في كثير من البلاد الإسلامية أنها -وهذه يمين بالله وقَلَّمَا أحْلِفُ- تُكَآتٌ يعتمدون عليها لتنفيذ ما يريدون من مخالفة الأحكام الشرعية، والتاريخ والتجربة في نحو قرن من الزمان أكبر دليل علىٰ أن وجود المسلمين الطيبين الصالحين في البرلمانات لا يفيدهم شيئًا، بل قد يضرون أولًا بأنفسهم لأنهم يدخلون ليصلحوا غيرهم وإذا بغيرهم قد أفسدهم، وقد يستطيعون أن يعملوا شيئًا من الشكليَّات، أما التغيير الجوهري فهذا لا سبيل للوصول إليه.

ثانيًا: طريقة الانتخابات واختيار النواب ليست طريقة إسلامية أبدًا، فهي طريقة أوربية كافرة؛ لأن البرلمانات تفتح مجال الترشيح للصالح والطالح، وليس هذا فقط، بل والمسلم والكافر، وتفتح المجال أيضًا للملاحدة والزنادقة والشيوعيين.

فكل هؤلاء يُعطىٰ لهم الحرية في أن يرشِّحوا أنفسهم وأن ينتخبهم مَن شاء مِن أفراد الأمة، أهذا نظام إسلامي؟!!

لا واللهِ ليس من الإسلام بسبيل إنما هذا نظام من لا يخضع لمثل قول رب العالمين: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦].

والحق والحق أقول: إن للنفس هنا حظًّا كبيرًا لأن النفس تحب التميُّز والترفُّع والتورُّط في الكراسي ليقال: فلان وزير، فلان نائب الوزير إلىٰ آخره.

وأخيرًا أقول: هل هذا هو السبيل لتحقيق المجتمع الإسلامي؟ لا.

أنا أعتقد أن الطريق لتحقيق المجتمع الإسلامي إنما يكون علىٰ طريقة محمد -عليه

=

=

الصلاة والسلام- الذي وضع لنا منهجًا عامًّا وعبَّر عنه بكلمة موجزة ألا وهي: «**خير الهدي هدي محمد** ﷺ».

فهل انضَمَّ الرسول عليه السلام إلىٰ كفار مكة في سبيل الإصلاح بالطريقة الناعمة اللطيفة -كما يفعل هؤلاء الذين يريدون أن ينضمُّوا إلىٰ البرلمانات- أم صَدَع بكلمة الحق؟!

لقد استمر النبي ﷺ -كما تعلمون جميعًا- ثلاث عشرة سنة وهو يدعو الناس إلىٰ التوحيد، وفي أثناء هذه السنين كان يربِّيهم -عليه الصلاة والسلام- علىٰ عينه بالأخلاق الإسلامية بأن يُؤثِروا الحياة الآخرة علىٰ الحياة الدنيا، فهل سلكنا هذا السبيل؟

إن هؤلاء الذين يريدون الإصلاح بطريق الانتماء للبرلمانات نسوا طريق الحق، وهو: التصفية والتربية.

كلمتان أدعو المسلمين إلىٰ الوقوف عندهما وتفهُّمِهِمَا جيدًا والعمل علىٰ تطبيقهما.

نحن الآن في أول القرن الخامس عشر من الهجرة وبيننا وبين العهد النبوي الأطهر الأزهر الأنور أربعة عشر قرنًا، وقد دخل في الإسلام ما ليس منه ليس فقط في السلوكيَّات والأخلاق والعبادات وإنما في العقيدة أيضًا.

فأين المرشدون؟! وأين المربُّون الذين يربُّون الأفراد والجماعات الإسلامية علىٰ التصفية والتربية؟ لذلك أنا لا أرجو أبدًا أن تنهض جماعة من المسلمين، وتكون لهم الصولة والدولة إلا علىٰ الطريقة التي جاء بها الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

وتلخيص ذلك: العلم النافع، والعمل الصالح.

العلم النافع اليوم بيننا وبين الوصول إليه عقباتٌ كَأْدَاءُ شديدةُ الصعوبة، فيجب تذليلها وتقريب هذا العلم النافع إلىٰ أذهان الناس بهذه الكلمة التي نسميها بالتصفية مقرون معها التربية، فنحن نجد كثيرًا من الدعاة الإسلاميين لم يربُّوا أنفسهم علىٰ الإسلام الصحيح، بل وذويهم وأهليهم وأولادهم ونساءَهم أيضًا.

فإذا لم نحقق المجتمع الإسلامي علىٰ هذا الأساس الصحيح من التصفية والتربية فلن

=

* السؤال الرابع:

يسأل أحد الإخوة يقول: بعد بيان لبعض المحاضرين في مؤتمر: (أصول عودة الأمة إلىٰ الجهاد) -والذي جاء فيه أن الأمة لابد لها من الرجوع إلىٰ الدين الحق دون مجرد الحماس والعاطفة- استشكل بعض الحاضرين ذلك فسأل: هل تأمروننا بالقعود عن الجهاد؟

فكان الجواب من أحد الحاضرين: نأمركم بالقعود في حالتكم الضعيفة المشتتة التي أنتم واقعون فيها حتىٰ تصبحوا قادرين حقًّا وصدقًا علىٰ الجهاد في سبيل الله فتقوموا به، فأشكل ذلك الجواب علىٰ بعض الناس فما رأيكم بالسؤال والجواب؟

=

تقوم دولة الإسلام بطريق البرلمانات أبدًا، وإنما هذا تعويق للمسيرة الإسلامية.

ولذلك نحن ننصح إخواننا الذين يشاركوننا في الاهتمام بالرجوع إلىٰ الكتاب والسنة ألا يستعجلوا الأمر وأن يُربُّوا أنفسهم وذويهم علىٰ هذا الإسلام المصفَّىٰ، وأن يَدَعُوا الحكام يفعلون ما شاءوا؛ لأننا لا سبيل لنا إليهم، وأن يتصوَّروا الرسول ﷺ وحياته في مكة وماذا كان يصيبه ويصيب أصحابه من الكفار، فهم ما وقفوا أمامهم يجابهونهم ويواجهونهم لِسببَين اثنين:

أولًا: أن التربية التي ينبغي أن تتحقَّق للمسلمين لمَّا تكن قد تحققت فيهم.

وثانيًا: لم يكونوا مستعدين ماديًّا لمجابهتهم وربنا يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]

لذلك ننصح هؤلاء ألَّا يتغلَّبَ عليهم الحماس والكره لهؤلاء الحكام -وحُقَّ لهم ذلك- لأنهم يحكمون بغير ما أنزل الله، وإنما عليهم أن يتأنَّوا وأن يُربُّوا أنفسهم ومن حَولهم علىٰ الإسلام المصفَّىٰ وألا يستعجلوا، فقد قيل قديمًا: (من استعجل الشيء قبل أوانه ابْتُلِيَ بحرمانه)».

أجاب الإمام -رحمه الله تعالىٰ-:

أنا أوقِّع علىٰ هذا الجواب علىٰ بياض وأشكر الذي أجاب بهذا الجواب الموفَّق، ولكنِّي أزيد عليه فأقول: لا نقول لهم: اقعدوا مع القاعدين، لكننا نقول لهم: جاهدوا مع المجاهدين، ولكن هل الجهاد محصور بهذا الجهاد الهزيل الضعيف الذي لا يسمن ولا يغني من جوع بعدما ذكَّرنا من أراد أن يتذكَّر؟

هناك مثل في بعض البلاد العربية: (عين ما بتقاوم مخرز) فأين العدة التي أمر الله بإعدادها بعد أن بيَّنا أنه يجب الإعداد المعنوي الديني، والإعداد المادي، كذلك كما جاء في ذلك الجواب؟

فأنا أذكِّر هؤلاء الذين أوردوا السؤال وجاءهم الجواب الصحيح -ربما لم يَزُل الإشكال- بقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**المجاهد من جاهد هواه لله**»[١].

وأنا علىٰ مثل يقين أن مثل هؤلاء الذين وجَّهوا ذلك السؤال يتوهَّمون من كلامنا أننا نأمرهم بالقعود عن الجهاد، وهذا داخل في خُلُق يبدو أنهم ما تحرَّروا منه ألا وهو خلق: سوء الظن بالمسلم، والله عَزَّوَجَلَّ يقول عن المشركين: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[الجاثية: ٣٢].

ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام-: «**إياكم والظنَّ فإن الظن أكذب الحديث**»[٢].

كيف يظن هؤلاء السائلون أو ذاك السائل بعد هذا البيان الواضح المبين أننا نأمر الشباب المسلم المتحمس بالقعود؟!

---

(١) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (١٢١٨).

(٢) البخاري في عدة مواضع منها برقم (٥١٤٣ و٦٠٦٤)، مسلم برقم (٢٥٦٣).

ونحن نقول له: ارجع إلىٰ فهم الإسلام فهمًا صحيحًا علىٰ ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ثم طَبِّق هذا الإسلام في حدودِ استطاعتك، ونأمر أيضًا الحكام الذين يحكمونه أن يطبِّقوا الإسلام إسلامًا مُصفًّىٰ، هذا هو الجهاد الأكبر، وبعد ذلك يأتي جهاد الكافر، فكيف يظنون بنا ظن السوء ويقولون: هل نقعد مع القاعدين؟

أعود فأذكِّر بقوله عليه السلام: «**المجاهد من جاهد هواه لله**»[١].

ولو أنني كنت عندكم لرأيت كثيرًا من هؤلاء الشباب يخالفون شريعة الله في أنفسهم وفي صلاتهم، وفي عبادتهم، والرسول عليه السلام قديمًا قال: «**الشاهد يرىٰ ما لا يرىٰ الغائب**»[٢].

فأنت تستطيع أن تلفت نيابة عني نظر بعض الشباب المتحمِّس إلىٰ أنه لم يطبِّق الإسلام في نفسه في زوجه في أخته في بنته إلىٰ آخره، لذلك قلنا آنفًا ناقلين تلك الكلمة التي أعتبرها غاية الحكمة: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تُقَم لكم في أرضكم».

إذن؛ لا نقول: اقعدوا، إنما نقول: جاهدوا، وأما جهاد القتال فيتطلَّب الاستعداد بأقوىٰ الأسباب الممكنة في العصر الحاضر، وهي متوفِّرة مع الدول، وليست متوفِّرة مع الأفراد، لذلك يجب علينا جميعًا -معشر المسلمين- أن نرفع أصواتنا ونطالب دولنا وبخاصة الدولة التي تعلن علنًا علىٰ المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي أنها تحكم بما أنزل الله أن ينفروا كافة، وأن يعلنوا الجهاد ليس

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «صحيح الجامع» برقم (٣٧٢٨).

قولًا وإنما قولًا وفعلًا وتطبيقًا[(١)].

(١) وممَّا يجدر التنبيه إليه والتأكيد عليه: أن إمامنا -رحمه الله تعالىٰ- كان يؤكِّد -في أكثر من مناسبة- أن جهاد أعداء الله -ومنه جهاد الدفع-، يشترط له إذن ولي الأمر، ومن ذلك أنه سئل -رحمه الله تعالىٰ- ضمن فتاويه المسمُوعةِ «سلسلة الهدىٰ والنور» برقم (٥٦٤) ما نصه: «ما حكم الجهاد في البوسنة والهرسك؟ هل هو فرض عين؟».

فأجاب:

«لا يوجد جهاد يا أخي في تلك البلاد، أين الجهاد؟ الجهاد جهاد الدول، ليس جهاد الأفراد إلا في أنفسهم، المجاهد من جاهد نفسه لله، أمَّا الجهاد بمعنىٰ قتال الكفار المعتدين علىٰ المسلمين فهذا من وظائف الحكَّام وليس من واجبات الأفراد، قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] (عين ما بتقابل مخرز)، فلا يأخذكم الحماس وتعمىٰ بصائركم وعيونكم، جاهد نفسك، الجهاد الفردي لا يفيد هناك، لا يفيد إلا زيادة تهلكة».

وسئل كذلك «سلسلة الهدىٰ والنور» برقم (٦٦٩)، ما نصه: «أما ترون أن الإخوة في البوسنة والهرسك بحاجة إلىٰ المساعدة للجهاد معهم؟».

فأجاب:

«كيف لا أرىٰ؟! ولكن هل تكون المساعدة بالزيادة في إهلاك النفوس المؤمنة دون فائدة تُرجىٰ، أين الإعداد الذي أمرنا به القرآن الكريم، فمعاونتهم تحتاج إلىٰ معاونة دول وليس أفرادًا وأشخاصًا!!

فالمسألة تحتاج إلىٰ جيوش منظمة ومدربة علىٰ استعمال السلاح الحديث وتحتاج إلىٰ دبابات، وتحتاج إلىٰ طائرات، و...و... إلخ.

أما وسائل فردية فلا يصلح، فلو نحن أرسلنا من هنا أو هناك ألف شخص فهؤلاء سيذهبون طُعمًا للنار، ماذا سيفعل هؤلاء بالنسبة للدبابات والمدمرات؟!

سبحان الله! أنا أتعجب من الشباب المسلم كيف لا ينظر في هذه القضايا إلا كما يقول =

=

المثل العربي القديم: فلان لا ينظر إلا إلىٰ أبعد من أرنبة أنفه!

فأنا سألتك: هل هناك فائدة مرجوة من الذهاب للجهاد هناك؟ فقلت: نعم، فسألتك: ما هي الفائدة؟ فقلت لي: إنهم ضعفاء، كأنك -الله يهديك- لا تعلم أني أعرف أنهم ضعفاء، وأنهم قلة أشخاصًا وسلاحًا بالنسبة للصرب أولًا، وبالنسبة للدول المؤيدة لها ثانيًا -وبخاصة هؤلاء الأمريكان الذين أهلكوا الحرث والنسل-.

أما تدري هذه الحقائق؟! فكيف تقول: توجد فائدة؟! نعم توجد فائدة لإهلاك المسلمين عبثًا! وهذه التجربة في أفغانستان هل تتصور أن تقوم قائمة الجهاد في البوسنة والهرسك بأحسن مما كان في أفغانستان، لا، وماذا كانت النتيجة هناك؟

النتيجة أننا حصدنا الحنظل وأهلكنا الحرث والنسل؛ بسبب أننا خالفنا الشرع في قضايا كثيرة جدًّا من أظهرها -كما دلَّت الخواتم السيئة- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢].

فكان هناك سبعة أحزاب يقاتلون حزبًا واحدًا وهو الحزب الشيوعي، حزب شيوعي كافر مقابل سبعة أحزاب مسلمة! فكيف صار هذا؟!

ولذلك لابد ألا ننسىٰ المبدأ الذي لابد من البدء به وهو: التصفية والتربية، وأيضًا أن نتذكر قول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ:٣٠] ».

ومن مشهور مناظرات الإمام الألباني مناظرة مع أحد مدَّعي الجهاد -وذلك في شريطين- قرر فيهما -بتأصيل وتحرير- لزوم الجهاد العيني تحت راية إسلامية بقيادة وليِّ أمر المسلمين، وكذلك يرجع إلىٰ «سلسلة الهدىٰ والنور» برقم (٥٦٨)، حيث ناقش فيه الإمام الألباني ضابط الجهاد في الجزائر والبوسنة والهرسك وتعلُّقه بالحكومات الإسلامية وليس بالأفراد.

* السؤال الخامس:

شيخنا نريد منكم جوابًا يكون كالقاعدة حول ما ستسمعون -وإنْ كنت أقول بدءًا: إن الجواب قد سبق علىٰ وجه العموم كقواعد كليَّة ولكن لابدَّ ممَّا لابُدَّ منه-.

يقول الأخ السائل: ما هي نصيحتكم لبعض الشباب المسلم الذي يقوم في بعض البلاد الإسلامية اليوم بتدمير بعض أماكن الفساد وتقتيل بعض الفَسَقة أو الكفار بحجة أن ذلك من الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع ترتُّب مفاسد كثيرة علىٰ ذلك، فما هو جوابكم جزاكم الله خيرًا؟

أجاب الإمام -رحمه الله تعالىٰ-:

لقد أحسنت حينما قلت: بأن جواب هذا السؤال يمكن أن يؤخذ من أجوبتي ومن جوابي الأول المفصَّل لكن كما قلت -بارك الله فيك- لابُدَّ ممَّا لابُدَّ منه.

فأقول: إن هذا العمل الفردي الذي يقوم به بعض الأفراد في بعض البلاد الإسلامية من القتل والكسر وسفك الدماء ونحو ذلك، عملٌ غير مشروعٍ[1]؛ لأنه لم يوجد السبب الذي يسمح بمثله وهو: أن يكون هناك حكم قائم في الإسلام

---

(١) قال الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في شرحه لـ «العقيدة الطحاوية» (ص٦٩): «وليس طريق الخلاص ما يتوَّهم بعض الناس، وهو الثورة بالسلاح علىٰ الحكام بواسطة الانقلابات العسكرية، فإنها مع كونها من بدع العصر الحاضر، فهي مخالفة لنصوص الشريعة التي منها الأمر بتغيير ما بالأنفس، وكذلك فلابد من إصلاح القاعدة لتأسيس البناء عليها: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]».

كما كان في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وفي عهد الخلفاء الراشدين والملوك المسلمين -الذين كان يغلب خيرهم شرهم-.

فيجب حينئذ إذا أمر الحاكم المسلم بتنفيذ أمر من مثل هذه الأمور التي جاء السؤال عنها كقتل بعض الفجار، أو الكفار من المحاربين للمسلمين تنفيذه أما أن يقوم أفراد في دولة تعلن أن دستورها الإسلام لكنها مع الأسف الشديد لا تعرف من الإسلام إلا اسمه.

ولذلك يتمنىٰ أولئك الحكام من أفراد المسلمين -كل المسلمين- أن يتظاهروا بمثل هذا الاعتداء علىٰ بعض الأفراد الذي لا يجوز حتىٰ في نظرنا نحن العلماء، أو الفقهاء، أو طلاب العلم من المسلمين ليتخذوا ذلك وسيلةً ووليجةً لسفك دماء هؤلاء المسلمين، الذين يجب عليهم أن يدَّخروا حياتهم ويدَّخروا دماءهم لذلك اليوم الذي نحن نخطِّطُ لأن يأتي، وذلك بعد تحقيق التصفية والتربية والتكتُّل الذي قام علىٰ الكتاب والسنة.

نحن نقول بأن النبي ﷺ صحيحٌ أنه قال: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيِّره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1].

ولكن العلماء والفقهاء الذين أحاطوا بفقه الكتاب والسنة إحاطة السِّوار بالمعصم -كما يقال-، وجمعوا أحكام الإسلام كلها وعرفوا الخاصَّ والعامَّ والمقيد والمطلق، والناسخ والمنسوخ، ونحو ذلك.

قالوا: إن الأمر في قوله ﷺ: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده**». ليس محصورًا في تغيير المنكر باليد، بل له هذه المراتب الثلاث، وما ذاك إلا من

---

(١) «مسلم» برقم (٤٩).

جمال التشريع وحكمته؛ لأن الله ﷻ الذي خلق العباد وأمرهم بما يطيقونه يعلم أن كثيرًا من المنكرات لا يمكن تغييرها دائمًا باليد.

ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام- في تمام الحديث: «**فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

ولقد طبَّق النبي ﷺ هذا التسلسل في تطبيق إنكار المنكر في بعض تصرفاته الحكيمة، ومن مثلها أخذ العلماء قولهم: «من كان آمرًا بالمعروف فليأمر بالمعروف».

أخذوا ذلك من مثل قوله -عليه الصلاة والسلام- حينما نصره الله علىٰ مشركي مكة، وفتح له مكة فصلىٰ في جوف الكعبة كما هو معلوم، فلما خرج -عليه الصلاة والسلام- أرادت عائشة زوج النبي ﷺ أن تدخل الكعبة، وأن تصلي فيها تحقيقًا منها لقول ربنا -تبارك وتعالىٰ-: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران:٣١].

فلما عرف ذلك رسول الله ﷺ منها قال لها: «**صلي في الحجر؛ فإنه من الكعبة ولولا أن قومك حديثو عهد بالشرك لهدمت الكعبة ولَبنيتها علىٰ أساس إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، ولجعلت لها بابين مع الأرض بابًا يدخلون منه وبابًا يخرجون منه**».

فترك -عليه الصلاة والسلام- بناء الكعبة علىٰ ما بناه عليه المشركون خوفًا من أن يشك بعض المؤمنين، أو بعض حديثي العهد بالإيمان في إيمانهم وإسلامهم إذا رأوا أن النبي ﷺ قد هدم الكعبة لجهلهم بأن النبي ﷺ يريد هدمها لإعادة بنيانها علىٰ أساس إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-.

فإذن؛ هو لم يغيِّر المنكر بيده فنزل من هذه المرتبة الأولىٰ إلىٰ المرتبة الثانية، وبيَّن -عليه الصلاة والسلام- أن الحِجْرَ من الكعبة، وأنه لولا هذا المانع لأدخل إلىٰ الكعبة الحِجْر.

وبعد وفاته -عليه الصلاة والسلام- وفي زمن أحد ملوك بني أميَّة حيث جرىٰ القتال -مع الأسف- بين عبد الله بن الزبير وبين الحجَّاج الظالمِ المُبِيرِ تمكَّن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما من إعادة الكعبة علىٰ أساس إبراهيم عليه السلام، ثم وقع -مع الأسف- أن أُعيدت الكعبة إلىٰ ما كانت عليه من قبل؛ أي: إلىٰ ما كانت عليه في زمن الجاهلية؛ لأن الحاكم يومئذ كان جاهلًا بحديث عائشة -رضي الله تعالىٰ عنها-.

وهذه القصَّة كنت قد ذكرتها في المجلد الأول من كتابي «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، فمن شاء رجع إليها[1].

---

(١) برقم (٤٣)، وأصله في «الصحيحين»؛ «البخاري»، في عدة مواضع منها برقم (١٢٦ و١٥٨٣)، «مسلم» برقم (١٣٣٣).

ومن تمام الفائدة أن أذكر شيئًا مما أورده الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في فقه هذا الحديث عَقِبَ تخريجه في «السلسلة الصحيحة» ما نصه:

«يدل هذا الحديث علىٰ أمرين:

الأول: أن القيام بالإصلاح إذا ترتَّب عليه مفسدة أكبر منه؛ وجب تأجيله، ومنه أخذ الفقهاء قاعدتهم المشهورة: (دفع المفسدة قبل جلب المصلحة).

الثاني: أن الكعبة المشرفة بحاجة الآن إلىٰ الإصلاحات التي تضمَّنها الحديث؛ لزوال السبب الذي من أجله ترك رسول الله ﷺ ذلك، وهو أن تنفر قلوب من كان حديث عهدٍ بشرك في عهده ﷺ وقد نقل ابن بطال عن بعض العلماء: «أن النَّفرة التي خشيها ﷺ أن =

ومثال آخر: جاء في مسند أحمد(١): «أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ رأىٰ في منامه أنه بينما كان يمشي في بعض أزقَّةِ المدينة لقي رجلًا من اليهود فقال له: نِعْمَ القوم أنتم -معشر يهود- لولا أنكم تشركون بالله فتقولون: عُزَيْرٌ ابن الله فقال له ذلك اليهودي في المنام: ونِعْمَ القوم أنتم -معشر المسلمين- لولا أنكم تشركون بالله فتقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

ثم مضىٰ يمشي فلقي رجلًا من النصارىٰ فقال له: نِعْمَ القوم أنتم -معشر النصارىٰ- لولا أنكم تشركون بالله فتقولون: عيسىٰ ابن الله.

فقال ذاك النصراني: ونعم القوم أنتم -معشر المسلمين- لولا أنكم تشركون بالله فتقولون: ما شاء الله وشاء محمد -صلىٰ الله علىٰ محمد-.

وفي الصباح قص رؤياه علىٰ النبي ﷺ فقال له: **هل قصصت رؤياك علىٰ**

=

ينسبوه إلىٰ الانفراد بالفخر دونهم».

ويمكن حصر تلك الإصلاحات فيما يلي:

١- توسيع الكعبة وبناؤها علىٰ أساس إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، وذلك بضم نحو ستة أذرع من الحجر.

٢- تسوية أرضها بأرض الحرم.

٣- فتح باب آخر لها من الجهة الغربية.

٤- جعل البابين منخفضين مع الأرض لتنظيم وتيسير الدخول إليها والخروج منها لكل من شاء».

(١) بنحو هذا المعنىٰ برقم (٢٠٦٩٤)، وانظر (٢٣٣٣٩).

وقد صححه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (١٣٨)، وانظر: (١٣٦، ١٣٧).

أحد؟ قال: لا، فخطب -عليه الصلاة والسلام- في الصحابة الكرام قائلًا: **ما بال أقوام يقولون: ما شاء الله وشاء محمد لا يقولن أحدكم: ما شاء الله وشاء محمد ولكن ليقل: ما شاء الله وحده»**.

قال -عليه الصلاة والسلام- في رواية أخرىٰ في هذه القصة -وهو الشاهد-: «**طالما كنت أسمعكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد فأستحي منكم**».

الشاهد هنا أنه -عليه الصلاة والسلام- كان يسمع مثل هذا الشرك الذي نسميه نحن بالشرك اللفظي ويقابله الشرك القلبي -والشرك اللفظي لا يخرج به صاحبه من الملة بخلاف الشرك القلبي، فهو الذي يخرج به من الملة-.

لذلك في الوقت الذي دعا رسول الله ﷺ قومه إلىٰ عبادة الله وحده ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وحينما استجاب له من استجاب من المؤمنين كان يسمعهم بناء علىٰ عادتهم في القديم يحلفون بغير الله، والآن أصبحوا مؤمنين بالله وبمحمد فهم يقولون: «ما شاء الله وشاء محمد».

يريدون بذلك أن مشيئة محمد من مشيئة الله يعنون أن طاعة محمد من طاعة الله كما هو منصوص في القرآن الكريم: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

ولكنهم لم ينتبهوا للفرق بين مثل هذه الآية: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾. وبين قولهم: «ما شاء الله وشئت»؛ فإنه يعني في ظاهر العبارة أن مشيئة الرسول ﷺ مؤثرة كمشيئة الله التي لا يقف أمامها شيء كما قال رب العالمين:

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

لم ينتبهوا لذلك لهذا كانوا يقولون وعلىٰ مسمعٍ منه ﷺ: «ما شاء الله وشئت». فكان يسكت -عليه الصلاة والسلام- لماذا؟ خشية أن يتضرَّروا بمثل هذا التنبيه حتىٰ أذن الله ﷻ له بتنبيههم عن أن يقعوا في مثل ذلك الشرك اللفظي، ولذلك في حادثة أخرىٰ كان إنكاره فيه شدة لم تُعهد منه ﷺ من قبل، وذلك ما رواه أيضًا الإمام أحمد في «مسنده»[1] من حديث ابن عباس -رضي الله تعالىٰ عنه-: «أن النبي ﷺ خطب يومًا فقال رجلٌ من الحاضرين: ما شاء الله وشئت يا رسول الله.

فغضب -عليه الصلاة والسلام- ولم يغضب هناك، وقال: **أجعلتني لله ندًّا؟! قل: ما شاء الله وحده**»[2].

---

(١) في عدة مواضع منها برقم (١٨٣٩ و١٩٦٤).

(٢) صحَّحه الإمام -رحمه الله تعالىٰ- في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (١٣٩)، وقال عقب تخريجه لهذا الحديث كلامًا رائقًا لا يسعنا إلا إثباته، ودونك نصه:

«قلت: وفي هذه الأحاديث أن قول الرجل لغيره: (ما شاء الله وشئت): يُعَدُّ شركًا في الشريعة، وهو من شرك الألفاظ؛ لأنه يوهم أن مشيئة العبد في درجة مشيئة الرب ﷻ، وسببه القرن بين المشيئتين، ومثل ذلك قول بعض العامة وأشباههم ممن يدعي العلم: (ما لي غير الله وأنت)، و(توكلنا علىٰ الله وعليك).

ومثله قول بعض المحاضرين: (باسم الله والوطن)، أو (باسم الله والشعب)، ونحو ذلك من الألفاظ الشركية التي يجب الانتهاء عنها والتوبة منها؛ أدبًا مع الله -تبارك وتعالىٰ-.

ولقد غفل عن هذا الأدب الكريم كثير من العامة، وغير قليل من الخاصة الذين يسوِّغون النطق بمثل هذه الشركيات؛ كمناداتهم غير الله في الشدائد، والاستنجاد بالأموات من =

بهذا الحديث الصحيح أنهي جوابي عن ذاك السؤال الذي يؤسفني أن يكون هو الأخير، ولكن لعلي أحظىٰ فيما بعد بمثل هذه الأسئلة النافعة لأكون مشاركًا معكم بلفظي، ولو كنت بعيدًا عنكم بجسمي فحسبي.

=

الصالحين، والحلف بهم من دون الله تعالىٰ.

والإقسام بهم علىٰ الله ﷻ ، فإذا ما أنكر ذلك عليهم عالم بالكتاب والسنة؛ فإنهم بدل أن يكونوا معه عونًا علىٰ إنكار المنكر؛ عادوا بالإنكار عليه، وقالوا: إن نية أولئك المنادين غير الله طيبة! وإنما الأعمال بالنيات كما جاء في الحديث!

فيجهلون أو يتجاهلون -إرضاءً للعامة- أن النية الطيبة وإن وجدت عند المذكورين؛ فهي لا تجعل العمل السيئ صالحًا، وأن معنىٰ الحديث المذكور إنما الأعمال الصالحة بالنيات الخالصة، لا أن الأعمال المخالفة للشريعة تنقلب إلىٰ أعمال صالحة مشروعة بسبب اقتران النية الصالحة بها.

ذلك ما لا يقوله إلا جاهل أو مغرض!

ألا ترىٰ أن رجلًا لو صلىٰ تجاه القبر؛ لكان ذلك منكرًا من العمل؛ لمخالفته للأحاديث والآثار الواردة في النهي عن استقبال القبر بالصلاة، فهل يقول عاقل: إن الذي يعود إلىٰ الاستقبال -بعد علمه بنهي الشرع عنه- إن نيته طيبة وعمله مشروع؟ كلا ثم كلا؛ فكذلك هؤلاء الذين يستغيثون بغير الله تعالىٰ، وينسونه تعالىٰ في حالة هم أحوج ما يكونون فيها إلىٰ عونه ومدده، لا يعقل أن تكون نياتهم طيبة، فضلًا عن أن يكون عملهم صالحًا، وهم يصرون علىٰ هذا المنكر وهم يعلمون».

* السؤال السادس:

جزاك الله خيرًا يا شيخنا هناك سؤال هو في الحقيقة ليس سؤالًا، ولكن الأخ الذي كتب السؤال قال عنه: «مهم جدًّا جدًّا». وأكد علىٰ هذا السؤال، والسؤال في الحقيقة من بدهيَّات الإسلام ولكن أحببنا أن ننجو من ملامة هذا الأخ: هل تحبون أن تموتوا شهداء في سبيل الله؟

أجاب الإمام -رحمه الله تعالىٰ-:

اللهم أمتني شهيدًا في معركة الجهاد في سبيل الله كما أمرتنا علىٰ الكتاب والسنة وعلىٰ منهج السلف الصالح، فأرجو أن تعيد هذا الدعاء إلىٰ السائل فهل يؤمِّن عليه أم لا؟» [1].

* * *

(١) ولعلَّ من الفَأل الحسن! أن نَختم هذه الرسالةَ القيِّمَةَ علىٰ إثْرِ دُعاء إمامِنا -رحمه الله تعالىٰ- بقولِنا: «اللهمَّ أَمِتنا شُهداء في معركةِ الجهادِ في سبيل الله كما أمرتَنا -علىٰ الكتابِ والسُّنَّةِ وعلىٰ منهجِ السَّلَفِ الصَّالحِ-».

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الفوائد

* ملاحظة: حرف (هـ) الذي يسبق رقم الصفحة؛ يعني: في الهامش.

الفائدة	رقم الصفحة
مصيبة العالم الإسلامي -اليوم- أخطر من احتلال اليهود لفلسطين!	٦
المستقبل للإسلام	هـ٨
المفهوم الصحيح لحديث رسول الله ﷺ: «**لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتىٰ تَلْقَوْا ربكم**».	هـ٩
عدم جواز التشبه بالكفار -سواء في عباداتهم أو أعيادهم أو أزيائهم الخاصة بهم-.	هـ١٠
معنىٰ البدعة وخطورتها.	هـ٢٢
ما تتميز به الدعوة السلفية.	هـ٢٩
مفهوم قول الإمام الطحاوي: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحله».	هـ٣١
الاحتفاء بقول الإمام مالك: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة».	هـ٤١

الفائدة	رقم الصفحة
الرد -بإسهاب- علىٰ مقولة: «مذهب السلف أسلم ولكن مذهب الخلف أعلم وأحكم».	هـ٤٢
التنويه بإعراض جماعة التبليغ عن الاهتمام بالعقيدة.	هـ٤٥
التفريق -بتفصيل مهم- بين اختلاف السلف والخلف من جهتي: السبب والأثر.	هـ٤٦
التفصيل في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله	هـ٤٩
أهمية الإسناد للتأكد من صحة الأحاديث	هـ٥٥
ضلال طائفة (القرآنيين)، وذكر بعض تلبيساتهم.	هـ٥٦
مفتاح عودة مجد الإسلام.	هـ٥٨
الدعاء باسم الله الأعظم.	٥٩
اشتراط تحقيق الإيمان في جهاد فرض العين.	٦١، هـ٦٧
اشتراط تحقيق القدرة في جهاد فرض العين.	٦٢، هـ٦٧
بيان أهمية زيادة «**من الخير**». في آخر الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».	هـ٦٤
كلام بديع في بيان الأسباب التي تؤهل المسلمين للانتصار علىٰ عدوهم.	هـ٦٦
ضابط موالاة الكفار المخرجة من الملة.	هـ٦٩
حرمة الاستقرار في بلاد الكفار.	٧١

الفائدة	رقم الصفحة
حكم الانتخابات.	هـ٧٢
الجهاد -ومنه جهاد الدفع- يُشترط له إذن وَلي الأمر.	هـ٧٧
إزالة المنكر -بدون إذن ولي الأمر- بالقتل والكسر وسفك الدماء عملٌ غير مشروع.	٧٩
الثورة بالسلاح علىٰ الحكام مخالف للشرع.	هـ٧٩
هدي النبي ﷺ في التسلسل بتطبيق إنكار المنكر.	٨٠
الكعبة المشرَّفة بحاجة الآن إلىٰ الإصلاحات لإعادة بنائها علىٰ أساس إبراهيم عليه السلام.	هـ٨٢
بيان بعض المناهي اللفظية المشتهرة بين الناس.	هـ٨٥
النية الطيبة لا تجعل العمل السيئ صالحًا.	هـ٨٦

❊ ❊ ❊

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس الإجمالي

من درر كلام الإمام الألباني ٥
مقدمة ٧
ترجمة الإمام ١٥
نص السؤال ٢٠
نص الجواب ٢١
واقع الأمة الإسلامية ٢٣
* افتراق الأمة ٢٣
* مفهوم الطائفة المنصورة الناجية ٢٥
* خير القرون ٢٦
* ضرورة التزام سبيل المؤمنين الأولين ٢٧
* أسباب الخلاف الحادث بعد السلف ٢٨
أسباب الوهن ٣٠
* حب الدنيا رأس كل خطيئة ٣٠
* صور استحلال المحارم ٣١
* التحذير من استحلال المحارم بطريق الاحتيال عليها ٣٣

* بيع العينة ومفهومها ٣٤
* تحايل اليهود ٣٥
* الاعتبار من أحوال الهالكين ٣٦
* ضرورة الجهاد ٣٧
سبيل النهوض ٣٩
* مظاهر البُعد عن الإسلام ٣٩
* وجوب العودة إلىٰ مذهب السلف ٤١
* وجوب تطبيق الإسلام علىٰ الحكام والمحكومين ٤٩
* التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما ٥١
* الرجوع إلىٰ السنة كالرجوع إلىٰ القرآن ٥٣
الأسئلة والأجوبة ٦٠
* السؤال الأول ٦٠
* السؤال الثاني ٦٩
* السؤال الثالث ٧٠
* السؤال الرابع ٧٤
* السؤال الخامس ٧٩
* السؤال السادس ٨٧
فهرس الفوائد ٩١
الفهرس الإجمالي ٩٤

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com